227
318

تفسیر سورهٔ فتح شریف

٢٧

٢١٨

هذا تفسير سورة الفتح

لخاتمة المحققين
وعمدة المدققين وحيد دهره
وفريد عصره السيد الشهير محمد
امين مير بادشاه الحسيني
البخاري تغمده الله برحمته
ورضوانه امين

وقف السلطان السعيد الأعظم والخليفة الخاقان الأكرم الأفخم
ناشر العدل والإحسان وموضح أحكام الأمور بالرشد
والعرفان السلطان ابن السلطان السلطان
ابو المحاسن والمكارم عثمان خان ابن السلطان
مصطفى خان ثبت الله المحاسن دولته الطاهرة
وخلد خلافته الباهرة وانا الداعي لدولته
الحاج ابراهيم حنيف المفتش
باوقاف الحرمين
المحترمين
عفي له

NURUOSMANIYE KÜTÜPHANESİ
Kısmı : N.O.
Yeni Kayıt No. 227
Eski Kayıt No. 318
Tasnif No. 297.1 = 927

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل حرمه لعباده بلدا امينا • ووضع
بيته لبراة ذمم المذنبين ضمينا • وامر ببنايه نبيه
الخليل • فرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل
بتاسيس جبريل • بعدما كان دفينا • هو اول ما وضع
على الما عند خلو السما بالفي عام • وكان زبدة بيضا
فدحيت الارض تحته وكانت به حنينا • وزينه بجذب
القلوب من لديه • وجعل افيدة الناس تهوي اليه
وهو امن لمن دخله وحصن حصينا • عروس تجلى كسلمى
وليلى • وبالايات البينات تحلى • وزاد فيها مقام
ابراهيم جمالا • وفي وجهها كنى بالحجر الاسود خالا • وفي
جبها جرى من عين زمزم ما معينا • ونادى عباده الى
بيته العتيق • فجاوا رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج
عميق • وجمع بعرفات المذنبين من الانس والجان فخشعت
الاصوات يومئذ للرحمن • ليسمع من انادم منا انينا
وحنينا • وجذب حبيبه ملبيا الى بيته الحرام وارضاه
ان يرجع من الحديبية من غير استلام • فقال من قصر فهمه
دون البلوغ الى كنه المرام • والله ما هذا بفتح لقد

صدرونا

صددنا عن البيت والمقام • فانزل الله تسلية لنبيه انا فتحنا
لك فتحا مبينا • سبحان من لم يزل كريما ولا يزال رحيما
ومن يكن الله له معينا فنعم معينا • وخص بارفع المقامات
واعظم الكرامات • سيد الاولين والاخرين • وخاتم
الانبيا والمرسلين • صلى الله عليه وعلى اله وصحبه اجمعين
بتشريف خطاب انا ارسلناك رحمة للعالمين • وبمواعد
من في الوجود لديه • واحب من في السجود اليه • وجمع
له بين اسميه في كتابه الكريم • لقد جاكم رسول من
انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين روف
رحيم اما بعد فيقول العبد الضعيف آيت

مؤلف

باديال رحمة الله الباري • محمد امين الشهير بامير بادشاه
البخاري • المنتسب الى من ينفع نسبه في الدنيا والعقبى
قل لا اسيلكم عليه اجرا الا المودة في القربى • ان سورة
الفتح نزلت بتبشير من الله بتفريح العباد • وظهرت
منه بجور الخيرة بتباشير صبح المراد • فطلعت شمسا للسعادة
لامعة بانوار السرور • رافعة غمايم الهموم عن ساحات
الصدور • وترادفت بعد نزولها الفتوح • وتبدلت
بها مضايق الصدور بالشروح • وهي مفتاح بلا ريب
وعنده مفاتح الغيب • فقصدت ان افسرها مقتفيا
لاثار السلف • ومتتبعا لاسرار الخلف • معترفا
بالعجز عن التحقيق • وبالله العون والهداية والتوفيق

٥٠٦

فشرعت مستعينا بالله في تحريرها • محركا حلقة باب الفرج
بتقريرها • لعل الله ان يجعلها للابواب المغلقة على مفتاحا
ولليالي المظلمة علي مصباحا • انه على ما يشا قدير •
وباجابة دعوة المضطر بن جدير • وها انا اشرع

فاقول ان سورة الفتح نزلت مرجع رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الحديبية بين مكة والمدينة • وروى
عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت بالمدينة والاول هو
الصحيح صححه البخاري ومسلم وغيرهما جم غفير من الايمة
الثقات من طرق كثيرة لا نطول الكلام في هذا المختصر
بذكرها • وما قيل من انها مدنية لاينافي ما ذكرنا
لان المدني في الاصطلاح ما نزل بعد الهجرة نزل بالمدينة
او غيرها كما ان المكي ما نزل قبلها • روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد نزلت علي الليلة سورة احب الي
من الدنيا وما فيها • وفي رواية احب الي مما طلعت عليه
الشمس ثم قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا رواه البخاري
لعل وجه الاحبية ما فيها من مغفرة ما تقدم من ذنبه
وما تاخر والفتح والنصر واتمام النعمة ورضا الله من
اصحاب الشجرة ونحوها • فان قلت الحديث يقتضي
كون الدنيا محبوبة عنده وهو ازهد الناس فيها • قلت
زهده فيها باعتبار كونها وسيلة لحظوظ الدنيا ومحبته
لها باعتبار كونها ذريعة للعقبى فلا منافاة على انه

يجوز

يجوز ان يكون المعنى هي عندي احب من الدنيا عندكم كما في قوله
تعالى قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة فيكون المراد
تفضيل محبته صلى الله عليه وسلم اياها على محبة من يحب
الدنيا • قال الله تبارك وتعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا
الفتح هو الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او غيره لانه
مغلق ما لم يظفر به واذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح
وما قيل من انه لا يفهم عند الاطلاق الا المعنى الحقيقي ولا
شك انه اذا اطلق الفتح انما يفهم منه الظفر عنوة لا غير
وقد يقال فتح البلد صلحا فلا يفهم الصلح الا عند اقترانه
بالفتح فصار الفتح في الصلح مجازا فهو ممنوع لان عدم
انفهام الصلح عند الاطلاق لا يستلزم كون الحقيقة هي
العنوة لجواز ان يكون الحقيقة هو المعنى الاعم من كل منهما
كما بينا • غاية الامر ان يكون اطلاقه في احدهما شايعا
فيسبق الى الفهم عند الاستعمال يدل على ما ذكرنا من العموم
ما في القاموس وغيره من الكتب المعتبرة في اللغة على
ان تفسير الفتح في الاية بالظفر عنوة انما يصح اذا لم
يرد به صلح الحديبية واما اذا اريد فلا يستقيم هذا
الكلام كما لا يخفى • قال العلامة البيضاوي وعد بفتح مكة
والتعبير عنه بالماضي لتحققه او بما اتفق له في تلك السنة
كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية • وانما سماه
فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سالوا الصلح

وتسبب لفتح مكة وفرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع ودخل في الاسلام خلقا
عظيما وظهر بالحديبية اية عظيمة وهي انه نزح ماؤها
بالكلية فتمضمض صلى الله عليه وسلم ثم مج فيها فدرت بالماء
حتى شرب من كان معه انتهى • فان قلت قد صحت الرواية
عن انس رضي الله عنه ان المراد صلح الحديبية فلا يجوز
ان يفسر بفتح مكة • قلت قد صحت رواية اخرى عن
عبد الله بن مغفل انه قال قرا النبي صلى الله عليه وسلم يوم
فتح مكة سورة الفتح فرجع فيها والمتبادر من قراءته صلى الله
عليه وسلم السورة في ذلك اليوم ان المراد من الفتح فتح مكة
والترجيع ترديد الصوت كقراءة اصحاب الالحان •
فان قلت هذا التبادر لا يقاوم تنصيص انس رضي الله
عنه • قلنا ذلك موقوف عليه وفيه احتمال ان يكون
تفسيره باجتهاده لا من السماع وهذا مرفوع اليه صلى الله
عليه وسلم مع انه مؤيد بقرائن دالة على ان المراد فتح مكة
منها قوله تعالى ويتم نعمته عليك وقد نزلت في فتح مكة
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي على بعض التفاسير
والقران يفسر بعضه بعضا • ومنها قوله وينصرك الله
ههنا كما قال في فتح مكة اذا جاء نصر الله والفتح • ومنها
قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانه
تعالى جعل المغفرة غاية الفتح ههنا كما اشار اليه في قوله

اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله واستغفره فان الامر بالاستغفار
بعد وجود النصر والفتح من الله تعالى بالنسبة الى نبيه وعد
بالمغفرة الشاملة على ما تقدم من ذنبه وما تاخر لعموم
متعلق الاستغفار ولزوم اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم
اما لزوم الاجابة فلان لكل نبي يستجاب دعوته سيما
نبينا صلى الله عليه وسلم بعد ان امر بالاستغفار • واما
العموم في متعلق الاستغفار فلحذف متعلق المغفرة
ليذهب الذهن الى كل مذهب يمكن الذهاب اليه كما عرف
في موضعه • وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فتحنا فتح مكة • وقال
الجمهور هو فتح الحديبية وهو قول انس والشعبي والزهري
قال ابن عطية وهو الصحيح • واخرج البيهقي عن عروة قال
اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا
فقال رجل من اصحابه والله ما هذا بفتح لقد صددنا عن
البيت وصد هدينا وعكف رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالحديبية ورد رجلين من المسلمين خرجا فبلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم قول رجال من اصحابه ان هذا ليس بفتح
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الكلام هذا اعظم
الفتح لقد رضي المشركون ان يدفعوكم بالراح عن بلادهم
ويسالوكم القضية ويرغبون اليكم في الامان وقد راوا
فيكم ما كرهوا وقد اظفركم الله عليهم وردكم سالمين غانمين

ما جوزتم فهذا اعظم الفتح انسيتم يوم احد اذ تصعدون ولا
تلوون علي احد وانا ادعوكم في اخراكم • انسيتم يوم الاحزاب
اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا قال المسلمون
صدق الله ورسوله هو اعظم الفتوح والله يا نبي الله ما فكرنا
فيما فكرت فيه ولانت اعلم بالله وبالامور منا فانزل الله
سورة الفتح • الراح جمع راحة وهي الكف واول مرتبة
الدفع بعد تجاوز القول الدفع بالراح ثم بالاصابع ثم بالسلاح
والمعنى ضعفوا ان يدفعوكم باكفهم تقية منكم وهذه عبارة
عن عجز المشركين واضطرارهم والقضية الصلح وقيل المراد
فتح الروم فانهم غلبوا علي الفرس في تلك السنة بعد ما غلبوا منهم
ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى
اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا علي اخوانكم
فلنظهرن عليكم فنزلت الم غلبت الروم في ادنى الارض
وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين • وقضية
مباحثة ابي بكر رضي الله عنه معهم ومزايدته في الخطر
مادا في الاجل بعد ما اخبره صلى الله عليه وسلم عن معنى البضع
مشهورة مذكورة في تفسير سورة الروم • فان قلت
رعاية مطابقة الكلام مقتضى الحال يقتضي تقديم الفتح كما
قدم الحمد علي الجلالة في قوله الحمد لله لان السياق لبيان
الفتح وما يترتب عليه • اقول اذا تاملت حق التأمل

وجدت ان المقام اشد اقتضاء لتقديم المسند اليه بيان
ذلك ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مختلفين
يومئذ في فهم الحكمة البالغة في امر الفتح فمنهم من كان في
غاية الكمال من اليقين والثبات بحيث لم يضطرب قلبه
اصلا وكان يعرف بالتحقيق ان الذي اراد الله لرسوله بعد
وعد النصر والفتح ومحاسن وجوه النصر والفتح في ذلك
الوقت كابي بكر الصديق رضي الله عنه علي ما ورد من
صحاح الاخبار في هذا الباب • وسنذكر نبذة منها ان شاء
الله تعالى • ومنهم من اعتراه بعض اضطراب لشدة صلابته
في الدين وغيرته علي الحق مع عدم اطلاعه علي كنه الحكمة
الغامضة لعدم بلوغه الى مقام الصديق الاكبر كعمر بن
الخطاب رضي الله عنه كما يدل عليه الخبر المشهور • ومنهم
من عرف وجود الفتح من وجه ولكنه كان محجوبا برؤية
الاسباب بمقتضى البشرية عن مشاهدة حقيقة توحيد
الافعال واسناد الفتح اليه سبحانه من غير التفات الى
جانب الاسباب من كثرة عساكر المسلمين وغيرها كما افاد
قوله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم • ومنهم من انكر
اصل الفتح بالكلية كما سبق • واذا تمهد هذا فنقول
توجه الخطاب في هذا المقام وان كان الى النبي صلى الله عليه
وسلم ظاهرا لكن المقصود افادة غيره من الامة لانه
كان يعتقد مضمونه قبل هذا الخطاب وشاركه صلى الله

عليه وسلم في هذا المعني اكمل متابعة ثاني اثنين رضي الله عنه
فاذن فايدة الخطاب ترجع الي غيرهما • فاذا نظرنا الي حال
من اضطرب رايه في كونه فتحا وانكره يحسن ويجب تاكيد
تحقق الفتح بالنظر اليه • ولا شك ان تقديم المسند اليه
علي الخبر الفعلي يدل علي كون الفعل امرا مقررا لا نزاع فيه
مفروغا عنه • وانما الكلام في تعيين الفاعل علي ما تقرر
في علم المعاني فافاد تقديم المسند اليه تحقق الفتح علي
الوجه الاكد • واذا نظرنا الي حال المحجوبين برؤية الاسباب
عن توحيد المسبب في التاثير حق التوحيد • قلنا نزلوا
منزلة من يعتقد مشاركة الاسباب مع المسبب في التاثير
واخرج الكلام علي خلاف مقتضي الظاهر وقدم المسند
اليه لافادة الحصر كما في قولهم انا سعيت في حاجتك
فيكون القصر قصر افراد وايضا لما كان امر الفتح مخفيا
عليهم بحيث انكره بعضهم ناسب المقام تعظيم شانه
وبيان ظهوره كما يدل عليه قوله فتحا مبينا تنبيها علي
عظم خطايهم وظهوره • ولا شك ان تكرار اسناد الفتح
الي ضمير المتكلم وهو الله سبحانه خصوصا بصيغة الجمع
المراد منها العظمة دون العدد يدل علي عظمة الفتح لان
الملك لا يقول مخاطبا لاعظم وزرايه اعطيناك دانقا
ولا سيما انا اعطيناك • فان قلت الحصر المذكور يدل
علي نفي اسناد الفتح الي النبي صلي الله عليه وسلم بالحقيقة

فيلزم

فيلزم من هذا انه اذا اضيف الفتح اليه صلي الله عليه وسلم
كان الاسناد مجازيا ولم يقل احد ان قولنا فتح الامير البلد
مجاز • قلنا الاية من قبيل وما رميت اذ رميت الاية
توضيحه ان مدار الحقيقة اللغوية في اسناد الفعل الي الفاعل
علي كون الفاعل مظهر الفعل من حيث قيامه به بحسب الظاهر
لا باعتبار كونه موثرا فيه والنفي الذي تضمنه الحصر
مورده كونه موثرا في الفعل لا كونه مظهرا له فلا يزاحم
الحقيقة اللغوية • وقيل فتحنا بمعني قضينا والفتاح
القاضي بلغة اليمن • يعني قضينا لك فتح مكة ويمكن الجمع بين
الاخبار الواردة في تفسير الفتح بان من فسره بالحديبية
تضمن تفسيره فتح مكة وغيره لان تسميتها فتحا باعتبار
كونه وسيلة لما بعدها من الفتوح فاندرج غيرها من
الفتوح بطريق التضمن والاشارة • ومن فسره بفتح مكة
اقتصر علي ما ذكر ما هو المقصد الاعظم ومراده فتح مكة
مع ما كان له وسيلة اليه ومقدمة له من الفتوح والله اعلم
ليغفر لك الله يقال غفر الله له ذنبه غفرا وغفرانا
وغفرانا غطي عليه وعفي عنه واللام للعلية واتفق
اهل الحق علي انه لا يجوز تعليل افعال الله تعالي بشي من
الاغراض والعلل الغايية ووافقهم علي ذلك جهابذة
الحكما وطوايف الالهيين وخالفهم المعتزلة وليست
خالية عن الفوايد والمنافع حتي يكون عبثا لكنها ليست

اسبابا باعثة على اقدامه وعللا مقتضية لفاعليته فلا
تكون اغراضا حتى يلزم استكماله بها وما ورد من الظواهر
الدالة على تعليل افعاله فهو محمول على الغاية والمنفعة
دون الغرض والعلة الغائية • واضطرب كلام المفسرين
في بيان وجه العلية في هذا المقام وذلك لان الفتح
المنسوب الى الله تعالى لا تظهر عليته بالنسبة الى بعض
الامور المذكورة في حيز اللام كالغفران والهداية
ومدخول اللام انما يكون معلولا لمتعلقه فقال الطبري
وابن كيسان المعنى انا فتحنا لك فسبح بحمد ربك واستغفر
ليغفر لك الله بقرينة ان الفتح المذكور هنا هو المذكور
في سورة النصر • وقد امر صلى الله عليه وسلم ثمه بالتسبيح
والاستغفار بعد النصر والفتح بقوله تعالى فسبح بحمد
ربك واستغفره فكذا هنا ولا يخفى • قال ابن عطية وهذا
ضعيف من وجهين احدهما ان سورة النصر انما نزلت
في اخر مدة النبي صلى الله عليه وسلم ناعية له نفسه على
ما قال ابن عباس رضي الله عنهما عندما ساله عمر رضي
الله عنه عن ذلك • وثانيهما ان في الاية تخصيص النبي
صلى الله عليه وسلم بالتشريف ولا يتاتى على تفسيرهما
لان كل واحد مخاطب بالتسبيح والاستغفار لكي يغفر له
انتهى وانت خبير بان تاخير سورة النصر عن سورة
الفتح انما يستلزم عدم كونه قرينة المحذوف وقت النزول

بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واما بالنسبة
الى من يتامل فيه بعد نزول سورة النصر فالتاخير
نزولا لا يصلح لان يكون قرينة للمتقدم ومن الجائز تحقق
قرينة اخرى دالة على المحذوف وقت النزول فتامل
واما الوجه الثاني فغير موجه لان التشريف باعتبار شمول
الغفران ما تقدم من ذنبه وما تاخر وذلك لا يوجد
في غيره • وقيل المراد ان الله تعالى فتح لك لكي يجعل
ذلك امارة وعلامة لغفرانه لك فكانها لام صيرورة
وهي لام العاقبة والمآل نحو فللموت ما تلد الوالدة
يرد عليه ان هذا المعنى لا يستفاد من العبارة لان مدخول
اللام نفس الغفران لا جعل الفتح علامة له • اللهم الا
ان يقال ان للغفران وجودا خارجيا ووجودا علميا
والمنظور في حيز اللام هو الغفران من حيث وجوده العلمي
لا الخارجي فكانه قال انا فتحنا ليعلم غفرانك وذلك
لان من انعم الله عليه بمثل هذا الفتح في الدنيا يليق
بمقامه في الاخرة الغفران الشامل لما تقدم من ذنبه
وما تاخر • فيلزم من هذا ان الله تعالى فتح ليجعله
امارة الغفران هذا غاية التوجيه فيه ولا يخفى ما فيه
وقيل هذا التفسير يدل على وقوع الغفران قبل نزول
السورة وهو ممنوع لجواز تحقق الغفران وتعيين علامته
معا • قال العلامة الزمخشري • فان قلت كيف جعل

فتح مكة علة المغفرة • قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن
لاجتماع ما عدد من الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة
وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز فكانه قال يسرنا
لك فتح مكة ونصرناك علي عدوك ليجمع لك بين عز الدارين
واعراض العاجل والاجل انتهي • وحاصله انه لم يجعل
كل واحد من الامور المذكورة في حيز اللام معلولا للفتح
بل يجعل المعلول اجتماع الامور المذكورة المفهوم من
العطف فكان مدخول اللام العلة في الحقيقة هو الاجتماع
المذكور بيان لعلته ان اجتماع الامور المذكورة موقوف
علي تحقق كل واحد منها وتحقق كل واحد منها موقوف علي
علته فالاجتماع المذكور موقوف علي علة كل منها ولا
شك ان الفتح علة لاتمام النعمة والنصر العزيز فلزم
ان يكون علة الاجتماع المذكور • قال المحقق التفتازاني
فان قيل الامر بالعكس لان العلة ما دخلته لام التعليل
لا ما تعلقت به • قلنا ذلك بحسب التعقل واما
بحسب الوجود فالفعل علة لما دخلته اللام كالضرب
للتاديب وان كان التاديب هي العلة للاقدام عليه
انتهي • ولا يخفي عليك ان قوله واما بحسب الوجود فالفعل
علة الي اخره لا يصح علي اطلاقه لان قولهم قعدت عن
الحرب جبنا اللام فيه مقدر اي للجبن مع ان الجبن علة
القعود لا العكس • اللهم الا ان يراد من لام العلة في كلا[م]

لام الغرض التي تسمى لام المنفعة في كلام الله تعالي • ثم قال
وتحقيق ذلك ان العطف علي مدخول اللام قد يكون للاشتراك
في متعلق اللام ويكون هذا بمنزلة تكرير اللام وعطف
الجار والمجرور علي الجار والمجرور وقد يكون الاشتراك
في معني اللام ويكون من قبيل جاءني غلام زيد وعمرو
اي الغلام لهما انتهي • يعني ان مدخول اللام وما عطف
عليه قد يشتركان في التعلق بكونه علة لكل واحد منهما
علي حدة والي هذا اشار بقوله بمنزلة تكرير اللام وعطف
الجار والمجرور الي اخره وحينئذ معني اللام وهو المعلولية
بكمالها حاصل في كل منهما لما عرفت وقد يشتركان في
معني اللام بمعني ان معني اللام وصف قائم بمجموعهما
لا بكل واحد منهما علي حدته كزيد وعمرو في غلام زيد
وعمرو فان النسبة الخاصة الاضافية التي وضعت
بازائها اللام المقدرة بين المضاف والمضاف اليه
انما يعقل بين الغلام وبين مجموع الاثنين من حيث
هو مجموع لا بينه وبين كل منهما مستقلا لان الغلام
مشترك بينهما لا يختص باحدهما وحينئذ لا يشتركان
في متعلق اللام كما في القسم الاول بان يتعلق بكل منهما
مستقلا بل بمجموعهما • ولا شك ان مقصوده جعل
المعطوفات الاربعة في الاية من القسم الثاني فيلزم
اشتراكهما في معني اللام وثبوت المعلولية للمجموع لا لكل

واحد فيكون علة لمجموع الاربعة لا لكل منهما ولا يخفى عليك
انه لا معنى لكون الفتح علة للمجموع لا باعتبار وصفا لاجتماع
فظهر ان التقرير الذي قدمنا في بيان مراد العلامة
اوضح هذا • والاظهر في بيان العلية ما افاده العلامة
البيضاوي وهو ان الفتح لما كان مسببا عن مجاهدات
عظيمة ومساع بليغة من النبي صلى الله عليه وسلم يصح ان
يكون علة لكل واحد من المعطوفات الاربعة باعتبار
مباديه وان لم يكن باعتبار ذاته منسوبا اليه صلى الله عليه
وسلم • اقول بل الفتح علة باعتبار مباديه وذاته
وما يترتب عليه • اما باعتبار المبادي فقد ذكر واما
باعتبار الذات فلانه من اعماله الصالحة صلى الله عليه
وسلم واسناده الى الله تعالى لا ينافي ذلك كما قال تعالى
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى • فان قوله تعالى
اذ رميت دل على ثبوت الرمي له ظاهرا وان كان منفيا
عنه باعتبار تاثيره الخارج عن طوق البشر مسندا الى
الله تعالى بذلك الاعتبار • كما يدل عليه قوله ولكن
الله رمى • واذا نظرت الى الحقيقة وجدت العباد كلهم
في افعالهم واعمالهم باسرها على هذا الوجه لا استقلال له
سبحانه في خلقها من غير مدخلية لهم غير انها مسبوقة
بارادتهم والارادة ايضا بخلقه سبحانه • لكنه تعالى
وتقدس قد يسند بعض افعالهم اليه سبحانه نافيا عنهم

اذا كان الاثار المترتبة عليه خارجة عن طوقهم تعظيما له
ومنة عليهم وتعليما لهم سر التوحيد فلو كان اسناد افعال
العباد اليه سبحانه وتعالى مانعا عن كونها وسيلة
لحصول درجات لهم لما صح ترتيب الثواب على شيء من
اعمالهم لاستناد الكل اليه سبحانه في الحقيقة واما باعتبار
ما يترتب عليه فلانه ترادفت بعده الفتوح وظهرت
قوة الاسلام وانكسرت شوكة الكفر ورايت الناس
يدخلون في دين الله افواجا • فنورت البلاد شرقا
وغربا وشمالا وجنوبا بنور الاسلام واقامة حدود الله
وشعايره وشدت قوافل الحجاج من كل فج عميق •
وغفر من المذنبين في كل عام ما لا يعلم عدده الا الله
وهكذا الى يوم القيمة الى غير ذلك مما لا يعد ولا يحصى
فالعمل الذي يترتب عليه هذه الاثار كيف لا يصلح ان
يكون علة لان يغفر ما تقدم من ذنبه وما تاخر واتمام
النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز •
فان قلت كان مقتضى الظاهر ان يقول لنغفر لك •
قلت التفات ومبالغة في تكميل الامور الموعودة لانه
اذا اسند الوعد الى الجلالة المستجمعة لجميع الكمالات الا
علم انه يقع على الوجه الذي تقتضيه تلك الكمالات
باسرها وهذه الاشارة لا تستفاد في الاسناد الى غيرها
والله اعلم • وقيل اللام للقسم وكسرت بحذف النون

من الفعل تشبيها بلام كي ورد بان لام القسم لاتكسر ولا ينصب
لها الفعل ولو جاز لجاز ليقوم في معنى ليقومن • واجيب
بان الكسر قد علل بانه شبهت بلام كي واما النصب فله
ان يقول ليس هذا نصبا لكنها الحركة التي تكون مع وجود
النون بقيت بعد حذفها دلالة على الحذف وبعد هذا
فهذا القول ليس بشي اذ لا يحفظ من لسانهم والله ليقوم
زيد ولا بالله ليخرج زيد بكسر اللام وحذف النون وبقا
الفعل مفتوحا ذكره ابو حيان • روي عن عايشة رضي الله
عنها انها قالت لما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية • اجتهد في العبادة فقيل
يا رسول الله ما هذا الاجتهاد وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر • قال افلا اكون عبدا شكورا •
ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال سفيان الثوري ما تقدم
يريد قبل النبوة وما تاخر كل شي لم يعمله وعن مقاتل مثله
وقيل ما تقدم قبل الفتح وما تاخر بعده وقيل ما تقدم
قبل نزول هذه الاية وما تاخر بعدها • وقال عطا الخراساني
ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب ابيك ادم وحوي وما
تاخر من ذنوب امتك • وقيل من ذنب ابيك ابراهيم
وما تاخر من ذنوب النبيين • وقيل ما تقدم من ذنب
يوم بدر جعل يدعو ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الارض ابدا وجعل يردد هذا القول دفعات

فاوحى الله تعالى اليه من اين تعلم اني لو اهلكت هذه العصابة
لا اعبد ابدا فكان هذا الذنب المتقدم • واما الذنب المتاخر
فيوم حنين لما انهزم الناس قال لعمه العباس ولابن عمه
ابي سفيان ناولاني كفا من حصبا الوادي فاخذه بيده
ورمى به في وجوه المشركين وقال شاهت الوجوه حم لا ينصرون
فانهزم القوم عن اخرهم فلم يبق احد الا امتلات عيناه
رملا وحصبا ثم نادى في اصحابه فرجعوا فقال لهم عند
رجوعهم لو لم ارمهم لم ينهزموا • فانزل الله عز وجل وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى فكان هذا الذنب المتاخر وقال
ابو علي الروذباري يقول لو كان لك ذنب قديم او حديث
لغفرناه لك • قال ابن عطية وهذا كله معترض وقال
اجمع العلما على عصمة الانبيا عليهم السلام من الكباير
والصغاير التي هي رذايل • وجوز بعضهم الصغاير التي ليست
برذايل • واختلفوا هل وقع ذلك من محمد صلى الله عليه وسلم
او لم يقع انتهى كلامه • فان قلت كيف يدعي اجماع العلما
على عصمة الانبيا عن الكباير مع وجود خلاف الحشوية في
العمد والاكثرين في تجويزهم صدور الكباير عنهم سهوا
او على سبيل الخطا في التاويل واذا كان الحشا رخلافهم
قلت المراد اجماعهم على عصمتهم عن الكباير على سبيل العمد
واما الحشوية فلا عبرة بخلافهم قال الامامية لا يجوز
الصغاير على النبي ولا على الامام والاية ترد عليهم قال

القاضي عياض في الشفا • فان قلت فاذ انفيت عنهم صلوات
الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين
وتاويل المحققين فما معني قوله تعالي وعصي ادم ربه
فغوي وما تكرر في القران والحديث الصحيح من اعتراف
الانبيا بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكايهم علي ما سلف
منهم واشفاقهم • وهل يشفق ويستغفر من لا شي عليه
فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبيا في الرفعة والعلو
والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة
بطشه مما يحملهم علي الخوف منه جل جلاله والاشفاق
من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم كما قيل حسنات الابرار
سيات المقربين سيات المقربين اي يرونها بالاضافة
الي علي احوالهم كالسيات • وما قال العلامة البيضاوي
في تفسير ما تقدم وما تاخر من قوله جميع ما فرط منك
مما يصح ان تعاتب عليه يمكن حمله علي المذكور في الشفا
ويتم نعمته عليك قال ابن عباس رضي الله عنهما في
الجنة • وقيل بالنبوة والحكمة • وقيل بفتح مكة والطايف
وقيل بخضوع من استكبر وطاعة من تجبر • قال العلامة
البيضاوي باعلا الدين وضم الملك الي النبوة • ويجوز
ان يراد كل نعمة انعم الله تعالي بها عليه واتمامها ايقاعها
علي اكمل وجه مما يليق بحاله • في القاموس ونعيم الله
عطيته وهي النعم الحسي والعقلي والدنيوي والاخروي

وكذا النعمة فيه ايضا النعمة بالكسر المسرة **ويهديك**
صراطا مستقيما اي الي صراط لحذف الجار وعدي
الفعل وقد يتعدي بغير حرف الجر • في القاموس الهدي
بضم الها الرشاد والدلالة وهداه ارشده وهداه الله
الطريق واليه وله عرفه • قال العلامة الزمخشري هو الدلالة
الموصلة الي البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته
اوليك الذين اشتروا الضلالة بالهدي • ويقال مهدي
في موضع المدح ولان اهتدي مضارع هدي ولكن يكون
المضارع في خلاف معني الاصل فاستدل علي مذهبه بالوجوه
الثلاثة • واعترض المحقق التفتازاني علي الوجوه واجاب
عن الكل ثم قال وعورضت الوجوه بقوله واما ثمود
فهديناهم فاستحبوا العمي علي الهدي • واجيب بانه مجاز عن
افاضة الهداية ورد بان الاصل الحقيقة والحق ان في الكل
ما يستدل به علي كل من المذهبين ولم يوجد قاطع لاحد
الفريقين لكن كتب اللغة تشهد لمذهب اهل الحق فهو الراجح
قال العلامة البيضاوي صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة
واقامة مراسم الرياسة ولا يظهر وجه التخصيص بهما
لا يقال حال المخاطب وسياق الكلام الدال علي الفتح والنصر
المستلزم لحصول الرياسة الكاملة قرينة دالة علي ما قال
لانا نقول التعميم افيد وابلغ وما ذكره مندرج تحت
العموم اندراجا اوليا فالاولي ما في المدارك من قوله

وثبتك على الدين المرضي فانه رجا فيه مع امور اخر من وظائف
العبودية والمعارف الالهية وانما فسر بالتثبيت
لان المترتب على الفتح دون اصل الهداية فانها كانت حاصلة
له صلى الله عليه وسلم قبله **وينصرك الله نصرا عزيزا**
وضع المظهر موضع المضمر لما قلنا في قوله تعالى ليغفر لك
الله والالتذاذ بذكره صريحا لانه لما اضمر في الجملتين السابقتين
تشوف المخاطب الى ذكره صريحا فتفضل عليه باظهاره موضع
الاضمار تعطفا عليه وتلطفا به كما قيل ؎
اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره • هو المسك ما كررته يتضوع
قال العلامة الزمخشري نصرا عزيزا فيه عز ومنعة او وصف
بصيغة المنصور اسنادا مجازيا او عزيزا صاحبه الذي
هو المنصور فيكون من قبيل عيشة راضية • وقيل النصر
العزيز هو الذي معه غلبة العدو والظهور عليه وغير
العزيز هو الذي ليس معه غلبة العدو والظهور عليه
مضمنه الحماية ودفع العدو فقط • عن ابن جريج انه قال
يريد بذلك فتح مكة وخيبر والطائف **هو الذي انزل
السكينة في قلوب المؤمنين** السكينة كالبهيتة للبهتان
يريد الثبات والطمانينة بسبب الصلح والامن بعد الخوف
وغب القتال وهي جملة مبتداة لبيان نعمة اخرى مختصة
بالمؤمنين بعد ذكر النعم المتعلقة به صلى الله عليه وسلم
وفي الحقيقة تعود منفعة كل من النعم المذكورة الى الكل

فان

فان قلت ما النكتة في ايراد المسند اليه والمسند معرفتين
باضمار الاول وموصولية الثاني • اقول لان المراد الحكم
معلوم عند المخاطب على معلوم عنده بالجملة بالنسبة بينهما
او تنزيله منزلة الجاهل بها كقولك زيد النايب لمن يعلم
ذات زيد مسمى باسمه ويعلم ان في البلد نايبا ولم يعلم ان زيدا
هو ذلك النايب وذلك لان المخاطبين ارتابوا في امر الفتح
او انكروه او اضافوه الى الاسباب العادية مع علمهم بانزال
السكينة ولو كانوا عارفين حق المعرفة ان انزال السكينة
والطمانينة عند ذلك الخوف العظيم والباس الشديد
من الله العزيز الحكيم بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم لما
صدر منهم ذلك فلم يكن حالهم يخلو عن احد الامرين اما
عدم الاطلاع على هذا المعنى بالكلية والاطلاع لا على وجه
العبرة فنزل منزلة العدم واما الاضمار فهو مقتضى الظاهر
بعد قوله تعالى وينصرك الله وايضا هذه الجملة كالبرهان
على الجملة السابقة لكون مضمونها مسلما عند ذوي العقول
كلهم لان كون التاثير في القلوب اثر القدرة القديمة مما
لا يحوم حوله ريب فمن اعترف به لا ينبغي له ان يتوقف
في الاعتراف بان الفتح ايضا من اثارها لان نسبتهما الى
القدرة واردة على السوية واللايق بحالها ان لا يخرج من دائرة
تاثيرها شيء في الكون لمضمون الجملة الثانية تنبيه على
مضمون الاولى **ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم** قال العلامة

البيضاوي بتقييناهم مع يقينهم برسوخ العقيدات واطمينان
النفس عليها ● فان قلت كيف يتصور ازدياد الايمان وانه
لا يزيد ولا ينقص لان الواجب هو اليقين وانه لا يقبل
التفاوت ● قلنا الحق ان التصديق يقبل الزيادة
والنقصان بوجهين بحسب الذات وبحسب المتعلق فانه
من الكيفيات النفسانية المتفاوتة قوة قولكم الواجب
اليقين والتفاوت لا يكون الا لاحتمال النقيض ● قلنا لا نسلم
ان التفاوت لذلك الاحتمال فقط اذ يجوز ان يكون بالقوة
والضعف بلا احتمال النقيض والا يلزم ان يكون ايمان النبي
واحاد الامة سواء وانه باطل اجماعا ولقول ابراهيم عليه
السلام ولكن ليطمئن قلبي فانه يدل على قبول التصديق
اليقيني الزيادة ● والظاهر ان الظن الغالب الذي لا يخطر
معه احتمال النقيض بالبال حكمه حكم اليقين في كونه ايمانا
حقيقيا فان ايمان اكثر العوام من هذا القبيل كل ذلك مما
افاده العلامة المحقق الشريف ● واما قبول الزيادة
والنقصان باعتبار المتعلق فلان افراد ما جاء به النبي صلى
الله عليه وسلم متعددة داخلة في التصديق الاجمالي فاذا
علم واحد منها بخصوصه وصدق به كان هذا تصديقا
مغايرا لذلك المجمل وجزءا من الايمان ولا شك ان التصديقات
التفصيلية تقبل الزيادة فكذا الايمان ● قال ابن عباس رضي
الله عنهما ان الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم بشهادة

ان لا اله الا الله فلما صدق به المؤمنون زادهم الصلاة فلما
صدقوا زادهم الصيام فلما صدقوا زادهم الزكاة فلما صدقوا
بها زادهم الحج فلما صدقوا به زادهم الجهاد ثم اكمل لهم دينهم
فقال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ● وقوله
تعالى ايمانا تمييز عن نسبة الازدياد الى ضمير المؤمنين فيكون
هو الفاعل في الحقيقة ● وقوله مع ايمانهم ظرف متعلق
بيزدادوا ولا يخفى عليك ان كلمة مع تدل على مصاحبة ما بعدها
مع ما قبلها في ثبوت متعلقه فيلزم ازدياد الايمانين معا
وهو خلاف المقصود لان المقصود كون الاول المزيد
والثاني المزيد عليه كما يشعر به اضافته الى ضمير المؤمنين
قلت الظرف متعلق بالاجتماع الذي تضمنه ليزدادوا
فكانه قال ليزدادوا ايمانا مجتمعا مع ايمانهم فلا يلزم
مشاركة الايمانين ومصاحبتهما في الازدياد بل في الاجتماع
فقط ● ولله جنود السموات والارض في القاموس الجند بالضم
العسكر والاعوان وصنف من الخلق على حدة وفي المثل ان لله
جنودا منها العسل عن ابن عباس رضي الله عنهما يريد الملائكة
والشياطين والانس والجن وتقديم الظرف لافادة الحصر
كما يشعر به لام الاختصاص فالمعنى ان الجنود كلها لله لا لغيره
يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهما
السلم اخرى كما يقتضيه علمه وحكمته فالجملة كالدليل
على ان الوعد المدلول عليه بقوله وينصرك الله نصرا عزيزا

كاين لا محالة بل على مضمون انا فتحنا ايضا كما لا يخفى وكان الله
عليما بمصالح العباد حكيما فيما يدبر ويريد قال الجوهري
الحكيم المتقن للامور وقريب منه ما قيل الحكمة فعل الشيء
على ما ينبغي وفيه ازاحة لما يكاد ان يختلج في الصدور من
انه اذا كان له الجنود كلها فلاي شيء ما نجز الوعد حين وعد
من غير تاخير فان في التدريج حكما ومصالح للعباد
لا يحيط بها الامور من جملتها حصول المراتب العلية •
والدرجات الرفيعة للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنين
بكثرة المجاهدات والصبر على مخالفة النفس والايمان با
الله لا يخلف الميعاد الى غير ذلك ليدخل المومنين
والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
علة لما يستنبط من سياق الكلام من اول السورة الى هنا على
ما افاده العلامة الزمخشري حيث قال وانما فعل ذلك
ليعرف المومنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب
فيثيبهم ويعذب الكافرين لما غاظهم من ذلك وكرهوه
وخالفه العلامة البيضاوي في بيان التعلق وتبعه في بيان
وجه العلية حيث قال علة لما بعده لما دل عليه قوله ولله
جنود السموات والارض من معنى التدبير اي دبر ما دبر من
تسليط المومنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلوا
الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكان
اختار هذا على ذلك لقرب ما يستنبط منه المتعلق وعدم

ظهور

ظهور مدخلية بعض الامور المذكورة فيما تقدم كمغفرة ما تقدم
من ذنبه صلى الله عليه وسلم وما تاخر وهدايته الصراط
المستقيم • وانت خبير بان ما ذكره العلامة الزمخشري
اخصر واوضح لان اسناده تعالى الافعال المذكورة من الفتح
والمغفرة وغيرهما الى ذاته المقدسة يدل على قضائه ذلك
دلالة واضحة بخلاف دلالة اثبات الجنود له على التدبير
المفسر بتسليط المومنين فانه يحتاج الى زيادة تامل
هي معرفة المقام مع ان قرب ما يستنبط منه فيهما ثابت
باعتبار المنتهى • ولا يخفى مدخلية كل من المغفرة والهداية
المتعلقتين الى النبي صلى الله عليه وسلم في ادخال المومنين
الجنة والكافرين النار لما غاظهم من ذلك • لان المراتب
العالية الحاصلة للنبي تستتبع للامة يوجب قبول شفاعته
فيهم على الوجه الاكمل وهدايته موجبة لهدايتهم الوصلة الى
الجنة • وقيل متعلق بفتحنا ويتجه عليه انه لا يجوز تعلق
حرفي الجر من جنس واحد في معنى واحد بفعل واحد من غير
عطف او ابدال او تاكيد وقد تعلق ليغفر لك الله بفتحنا
فلا يصح تعلق ليدخل به من غير تحقق شيء من الشروط المذكورة
اقول يجوز ان يكون قوله ليدخل بدلا عن قوله ليغفر لك
الله مع ما عطف عليه بدل الاشتمال • قال المحقق الرضي
فيه اشتمال المتبوع على التابع كونه دالا عليه اجمالا •
ومتقاضيا له بوجه ما بحيث تبقى النفس عند ذكر الاول

متشوقة الى ذكر الثاني منتظرة له فيجي الثاني ملخصا لما اجمل في
الاول مبينا له ولا شك ان تلك الدرجات العالية المذكورة
للنبي صلى الله عليه وسلم تدل اجمالا على ادخال امته الجنة
والكفار النار • وقيل متعلق بانزل ويتجه عليه مثل ما ذكرنا
لتعلق ليزدادوا به • ويمكن تقرير الجواب المذكور ههنا
ايضا لان ازدياد الايمان يدل اجمالا على ادخالهم الجنة
وادخال الكافرين النار لما غاظهم • وعلى هذا يكون
قوله ولله جنود السموات والارض وما بعده جملتين
معترضتين كما ان في التوجيه الذي ذكر قبل هذا قوله
هو الذي وما بعده جمل معترضة وهذا عندي احسن التوجيه
لعدم الاحتياج فيه الى تقدير المتعلق وحسن التقابل بين
النعم المنسوبة الى النبي صلى الله عليه وسلم من الفتح المترتب
عليه المغفرة المذكورة مع ما عطف عليه وبين النعم
المنسوبة الى الامة من انزال السكينة المترتب عليه
ازدياد الايمان وادخال الجنة وما عطف عليه والله اعلم
وقيل متعلق بجميع ما ذكر من الفتح والانزال وما تعلق بهما
والتدبير المفهوم من فحوى الكلام وهذا يحتمل وجهين احدهما
ان يكون من باب التنازع فيعمل الاول او الاخر على المذهبين
فيه ويحذف في غيره • وثانيهما ان يتعلق بعد ربهما
فيرجع الى توجيه الزمخشري • وقيل متعلق بيزدادوا وهو
اقرب التوجيهات بحسب اللفظ لقرب المتعلق المذكور

صريحا

صريحا وما بين المتعلق والمتعلق اعتراض • وقيل بدل
اشتمال من قوله يزدادوا وعلى هذا يكون متعلقا بانزل
وقد اشرنا اليه ولا يذهب عليك زيادة فيه وهو
انه نوع بيان للحكمة المذكورة في قوله تعالى حكيما والخلود
في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل
للجزء الذي يبقى من الانسان ما دام حيا خلد ولو كان
وضعه للدوام كان التقييد بالتابيد في قوله تعالى
خالدين فيها ابدا لغوا لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور
لما يشهد له من الايات والسنن كذا افاده العلامة البيضاوي
في اول القران مع زيادة بيان • وقيل لما قرا النبي صلى
الله عليه وسلم على اصحابه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر قالوا هنيئا لك يا رسول الله فماذا لنا فنزل
ليدخل المومنين والمومنات الاية ولما قروا ويتم نعمته
عليك قالوا هنيئا لك فنزلت واتممت عليكم نعمتي فلما قال
ويهديك صراطا مستقيما نزل في حق الامة ويهديكم
صراطا مستقيما • ولما قال وينصرك الله نصرا عزيزا
نزل وكان حقا علينا نصر المومنين وهو كقوله تعالى
ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال هو الذي يصلي
عليكم ذكره الامام القشيري • والجنة المرة من الجن وهو
مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي به
الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته

ستره واحدة ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة
ثم دار الثواب لما فيها من الجنان . وقيل سميت بذلك لانه
ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر وجمعها وتنكيرها لان الجنان
على ما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما سبع . جنة الفردوس
وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار
الاسلام وعليون وفي كل واحد منها مراتب ودرجات
متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال . وقوله تجري
من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت
الاشجار النابتة على شواطئها . وعن مسروق انهار الجنة
تجري من غير اخدود واللام في الانهار للجنس وللعهد
والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء
غير آسن الاية . والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق
الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والمراد بها ماؤها على الاضمار
او المجاز والمجاري نفسها . واسناد الجري اليها مجاز .
ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها ولا يظهرها كذا ذكره العلامة
البيضاوي في القاموس كفر الشيء ستره ككفره ومنه التكفير
في المعاصي كالاحباط في الثواب فعلى هذا تعديته بعن
باعتبار كونه في معنى الاذهاب فكانه يقول يذهب عنهم
سيئاتهم . وعلى الاول هو المعنى الذي فسر به العلامة يجوز
ان تكون التعدية باعتبار تضمنه معنى الازالة او باعتبار
نفسه والمعنى يستر عنهم بحيث لم يروها بان ينسيهم ذكرها
لان

لئلا يخجلوا وهذه نعمة عظيمة لا نظير لها رزقنا الله بجاه نبيه
صلى الله عليه وسلم والسيئة الخطيئة والذنب . فان قلت كان
مقتضى الظاهر ان يقدم تكفير السيئات على ادخال الجنة في
الذكر لتقدمه عليه في التحقق . اقول ان كان المعنى يستر
عنهم سيئاتهم بانسائهم ذكرها يجوز ان يكون ذلك بعد ادخالهم
في الجنة تتميما للنعيم لانهم لو تذكروا ما فعلوا في الدنيا
لم يهنأ لهم نعيم الجنة او نقول هذه نعمة مزيدة على اصل
الادخال في الجنة . والاصل مقدم على المزيد عليه وعلى
المعنى الاول فالتقديم لمزيد الاهتمام بشأنه لانه المقصود
الاصلي والعفو وسيلة اليه وكان ذلك اي الادخال
والتكفير اشير اليهما بما يشار به الى البعيد لعلو درجتهما
عند الله وذلك لانهم لا يستحقونهما بعملهم بل حصولهما لهم
من فضل الكريم والله ذو فضل عظيم عند الله فوزا عظيما
لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر لان دخول
الجنة يتضمن جميع الكمالات الصورية والمعنوية سيما اذا
كانت السيئات التي تذكرها توجب الخجل والالم منسية اعني
الادراك عينا ذاتا وعند الله حال من الفوز قدم لرعاية
الفواصل ولان كينونة الفوز عند الله يوجب عظمته وشرفه
فقدم لمزيد الاهتمام بشأنه والفوز النجاة والظفر بالخير
ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
المنافق من يظهر الايمان ويستبطن الكفر واصله من نفق

اليربوع اذا اخرج من نافقائه وهي احدى جحرتي اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهي القاصعا بدخلها فاذا اتي من قبل القاصعا ضرب النافقا براسه وخرج منها شبه به المنافق لاظهاره الايمان وكتمانه الكفر فاذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم • والمشركين والمشركات اي كفرا سمي به لانه يشرك به الها اخر • قال العلامة البيضاوي عطف على يدخل والا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل يعني اذا جعلت يدخل بدلا من يزدادوا لا يصح عطف يعذب عليه لان العطف على البدل يوجب بدليته وهي لا تصح لان ازدياد ايمان المومنين لا يشمل تعذيب المنافقين • اقول استمال المتبوع على التابع كونه دالا عليه اجماعا ومتقاضيا له بوجه ما كما ذكرناه نقلا عن المحقق الرضي • ولا شك ان ازدياد ايمان المومنين الموجب لادخالهم الجنة علة لغيظ المنافقين الموجب لتعذيبهم والعلة دالة على المعلول في الجملة متقاضية له بوجه ما وايضا يتجه على عطفه على يزداد وانه يلزم حينئذ كونه مدخولا للام المتعلق بانزل وكيف يكون انزال السكينة في قلوب المومنين علة لتعذيب المنافقين • فان اجيب بانه يستلزم غيظهم الموجب تعذيبهم • قلنا فما هو جوابكم هو جوابنا • ويجوز ان يكون عطفا على يدخل على ان يكون يدخل بدلا عن قوله تعالى ليغفر لك الله مع ما عطف عليه بدل

استمال

استمال فان اتمام النعمة وهو من اجزا المبدل يقتضي دخال اعدايه من المنافقين والكفار النار وتعذيبهم فيكون مشتملا اياه الظانين بالله ظن السوء الظن الاحتمال الراجح بين طرفي الاعتقاد الغير الجازم وقد يوضع موضع العلم والسوء عبارة عن رداءة الشي وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل في المرضي الصالح من الافعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد فعل سو وسوء ظنهم اعتقادهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمومنين ولا يرجع الى المدينة ولا احد من اصحابه حين خرجوا الى الحديبية ان المشركين يستاصلونهم ويجوز تعميم سوء ظنهم بحيث يشمل ما ذكر وغيره من معتقداتهم الفاسدة قال العلامة البيضاوي ظن الامر السوء وانما احتيج الى تعدد الموصوف معرفا لكون الصفة معرفا باللام ويجوز ان يكون بينهما اضافة بيانية لما بينهما من العموم والخصوص من وجه فتامل وانما قال الظانين بالله لا بالرسول والمومنين مما يجب تنزيه الله سبحانه عنه عليهم دائرة السوء الدايرة ما احاط بالشي اسم فاعل من دار يدور ودوران ومنه دواير الزمان وهي انقلاب الامر وانعكاس امور الدهر كالعز والدولة تدور بين الناس قال الله تعالى تلك الايام نداولها بين الناس واسم بمعنى الهزيمة على ما قاله الجوهري والسوء بالفتح مصدر ساءه اي فعل به ما يكره وبالضم الاسم منه وقرئ بهما والمعنى عليهم دايرة ما يظنونه ويتربصونه

ليكون ادل على قبح ظنهم وفساده وفيه اشارة الى ان عدم نصر الرسول والمومنين

بالمومنين لا يتخطاهم فهو حايق بهم ودايرعليهم وقيل بمعني
الهلاك والدمار وقيل السوء بالفتح غلب في ان يضاف اليه
ما يراد ذمه من كل شي وبالضم جار مجري الشر الذي هو نقيض
الخير والجملة دعاية ويجوز ان تكون خبرية **وغضب الله**
عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم الغضب بالتحريك ضد الرضي
غضب عليه وله اذا كان حيا وغضب به اذا كان ميتا واللعن
الابعاد الكلي من الخير فان قلت من محسنات الوصل التناسب
بين الجملتين الفعليتين في المضي والمضارعة وكلام الله تعالى
لكونه في اعلا درجات البلاغة لا يفوته شي من المحسنات
فكيف عطف قوله علي غضب الله علي يعذب قلت كونه من
المحسنات انما يكون عند عدم المانع وههنا مانع وهو انه
اريد في احدهما المضي وفي الاخري الاستقبال لان الغضب
واللعن والاعداد قد تحقق والتعذيب سيتحقق كما في قوله تعالى
ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله وقوله تعالى فريقا
كذبتم وفريقا تقتلون • قال العلامة البيضاوي عطف لما استحق
في الاخرة علي ما استوجبوه في الدنيا وكانه اشار بهذا الكلام
الي نكتة تقديم التعذيب علي الغضب وما ذكره بعده مع انه
متاخر عنها بحسب الرتبة لان الغضب واللعن والاعداد
اسباب التعذيب بيانه ان التعذيب وان كان متاخرا
عنها في الوجود لكنه باعتبار وجوبه المترتب علي ما يوجبه من
النفاق والشرك الواقع في الدنيا متقدم عليها باعتبار ما يتر

عليها لكونه مستحقا في الاخرة ولا يخفي ما فيه والاولي ان يقال
في وجه التقديم ان الترتيب في الامور المذكورة بحسب الذكر
انما وقع علي اسلوب الترقي من الادني الي الاعلي في الوعيد
لان مرتبة التعذيب دون مرتبة الغضب في الوعيد
لان الغضب يستلزم التعذيب علي وجه التشديد سيما مع
اسناده الي الجلالة واللعن اشد من الغضب واما الاعداد
فهو نتيجة الغضب واللعن والنتيجة متاخرة عما ينتجها والاولي
ان يحمل قوله تعالى ويعذب المنافقين الي اخره علي عذاب الدنيا
من الغيظ واشتعال نار الحسد في احشايهم والتفضيح وغيره
والقتل والاسر للكافرين • وحينئذ قول المحقق في الدنيا
والاخرة في بيان العطف متعلق بمقدر تقدير الكلام ما استوجبوا
وقوعه في الدنيا وما استحقوا وقوعه في الاخرة فتدبر
وايضا حسن التقابل بين وعد المومنين وبين وعيد المنافقين
والمشركين يقتضي تقديم التعذيب لانه مقابل لادخال
الجنة فان ذكر التعذيب يدل علي ادخال النار بالالتزام
ثم قال والواو في الاخيرين اي ذكر الواو في قوله ولعنهم
واعد لهم والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب الاعداد
والغضب سبب له اي للعن لاستقلال الكل اي كل واحد
من الغضب واللعن والاعداد في الوعيد بلا اعتبار
السببية يعني لو ذكر الفاء في الاخيرين لم يفهم ان كل واحد
منها وعيد مستقل بل يفهم ان الغضب من حيث انه سبب

اللعن من حيث انه سبب للاعداد وعيد مستقل • اقول من البين
ان غضب الله والعياذ بالله منه في حد ذاته وعيد عظيم
مستقل واللعن اعظم منه واعداد جهنم لهم قبل وقت العذاب
بالوف من السنين امر يدهش العقول وكون الاول سببا
للثاني والثاني سببا للثالث لا يستلزم ان يكون المجموع
وعيدا واحدا ولا يكون كل منها وعيدا مستقلا لا يقال اذا
كان كل منها وعيدا مستقلا لم يبق لافادة السببية بين
الوعيدات في سياق الوعيد فايدة لعدم مدخليتها فيه
حينئذ • لانا نقول ان اللعن وان كان بالنظر الى ذاته
وعيدا شديدا لكنه اذا لوحظ فيه كونه مسببا عن الغضب
يزداد مهابته وكذا الاعداد • فان قلت ما بعد الفا
السببية قيد لما قبلها في الحقيقة فاذا قيل غضب فلعن
فاعد كان المفاد غضبا مقيدا بكونه سبب لعن مقيد بكونه
سببا للاعداد فالمقصود بالافادة اما القيد الاخير
او مجموع المقيد لا كل واحد منها • قلت عدم كون كل واحد
منها مقصودا بالافادة لا يستلزم عدم كونه وعيدا مستقلا
لان الاستقلال في كونه وعيدا غير الاستقلال في كونه
مقصودا بالافادة غير انه لو كان كل مما يستقل في الوعيد
مستقلا في الافادة ايضا لكان احسن لكن كان يفوت حينئذ
زيادة المهابة على ما ذكر اللهم الا ان يقال اذا لم يكن كل منها
مقصودا بالافادة لم يكن في العبارة اشعار باستقلاله

في الوعيد وان كان في نفس الامر مستقلا فيه بحيث يظهر
استقلاله بادنى تامل في مفهومه فتامل وساءت مصيرا
ساءت من افعال الذم بمعنى بئس من انشاء الذم والمصير
مفعل بمعنى المرجع والمخصوص بالذم ههنا محذوف لعدم
ذكره فيما سبق اي جهنم والفاعل ضمير مبهم مفسر بالتمييز
اعني مصيرا لان كلمة نعم وبئس لا يحتملان غالبا ضمير
ما تقدم وكذلك ساء والتانيث باعتبار المخصوص بالذم ولا
يضر تذكير الفاعل كما بين في موضعه • والجملة انشائية
فلا يجوز عطفها على ما قبلها الا بتاويل كما افاده العلامة
الزمخشري في قوله تعالى وبشر المومنين بعد قوله فان لم
تفعلوا بقوله ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب
له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف
هو جملة وصف ثواب المومنين فهي معطوفة على جملة وصف
عقاب الكافرين انتهى • حاصله قطع النظر عن خصوصية
صيغة الانشاء والاخبار في حق العطف والنظر الى
خلاصة المقصود من المضمونين وهو وصف الثواب والعقاب
للفريقين وهذه الجملة في جانب الوعيد بعد ذكر التعذيب
وما يعادل نظير قوله تعالى وكان ذلك عند الله فوزا
عظيما في كون كل منهما فذلكة لما قبله ولله جنود السموات
والارض وكان الله عزيزا حكيما قد سبق تفسيره كرره
لما فيه من الدلالة على قدرته الكاملة المستلزمة وقوع

جميع ما ذكر من الوعد والوعيد لان مالك رقاب الجنود كلها
من العلويين والسفليين من بدا الخلق الى الابد بحيث يتصرف
فيهم كيف يشا من الايجاد تارة والاعدام اخرى الى غير
ذلك لا جرم انه مالك لجميع الكاينات لان ارباب النفوس
والعقول مع قوتهم واستقلالهم بحسب الظاهر اذا كان
ناصيتهم بيده فكينونة غيرهم من الحيوانات والنباتات
والجمادات تحت سلطان قهره بالطريق الاولى ومالك
الكل المنزه عن شايبة النقص قادر على الوفا بوعده ووعيده
ولا يخلف الميعاد لان الخلف نقص لا يقال خلف الوعيد
ليس بنقص لان وعيد الكفار وعد بالنسبة الى المومنين
على ان كمال عظمة الالوهية وسطوع الجبروتية تقتضي
مظاهر لصفتي اللطف والقهر على الوجه الاكمل • وايضا
الوعيد اذا كان مشتملا على اخبار مفصلة كاحوال اهل النار
وتخاصمهم في مواضع كثيرة فلا شك ان خلفه يستلزم تجويز
ذلك الكذب تعالى شانه عن ذلك علوا كبيرا • والعزيز
الغالب على امره ولذلك سمي الملك عزيزا ولعله تعالى قال
في الاول عليما حكيما وههنا عزيزا حكيما اشارة الى ان
علمه بمصالح العباد اقتضى الصلح اولا وعزته وغلبته على الامر
تقتضي النصر العزيز ثانيا **انا ارسلناك شاهدا** الارسال
في الاصل التوجيه والمراد هنا بعثته صلى الله عليه وسلم
الى الخلق كافة • عن قتادة انه قال شاهدا على امته

بالبلاغ وشاهدا على الانبيا انهم قد بلغوا قال فكيف اذا
جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا
فان قلت البلاغ فعل النبي صلى الله عليه وسلم وكيف يشهد
على فعل نفسه • اقول الشهادة ليست باعتبار نسبة
البلاغ اليه بل باعتبار كونه من الله اليهم بواسطته
فحقيقة الشهادة راجعة الى ان الله تعالى قد اقام حجته
على عباده بارشادهم اليه بالمعجزات الباهرة • وقيل
شاهدا على امتك باعمالهم من طاعة او معصية والاول
اظهر لان ترك ذكر المشهود عليه يناسب التعميم ولان
الشهادة على الكل من خصايصه صلى الله عليه وسلم فهي اولى
بالارادة • وقيل شاهدا عليهم يوم القيمة فهو شاهد
انما لهم اليوم والشهيد عليهم يوم القيمة وهذا مروي
عن سعيد بن جبير وهو قريب من المعنى الثاني ونصب
شاهدا على انه حال مقدرة اذا اريد بالشهادة اداوها
او محققة ان اريد تحملها وتقديم المسند اليه على الخبر الفعلي
للتاكيد وتعظيم شان الارسال والمرسل لما بينا في قوله
تعالى انا فتحنا لحصر التقابل بينه وبين انا فتحنا فان ذلك
بيان لما اعين به الرسول بعد الارسال وهذا بيان لما
هو المقصود منه **ومبشرا** والتبشير اخبار بما يسر المخبر
حتى يظهر اثر السرور في بشرته ولذلك قال الفقها البشارة
الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم

زيد فهو حر فاخبره فرادي عتقوا ولهم ولو قال من اخبرني
اعتقوا جميعا واشتقاقه من البشر وهو ظاهر جلد الانسان
ووجه المناسبة ظهور اثر التبشير في البشرة والمراد
اخباره بما وعد للمومنين في الدارين بما يوجب غاية
سرورهم **ونذيرا** والنذير المنذر والانذار الاعلام
والتحذير والمعنى انا ارسلناك مبشرا تبشر من اطاع الله
بما اعده لهم من الجنة واللقا وساير النعم ونذيرا تنذر
من عصاه بالنار وما يتبعها من ساير العقوبات قدم
الشهادة على البشارة والانذار لكونها اعم باعتبار المتعلق
لانه يندرج فيه جميع الامم والانبيا والمطيع والعاصي
بخلاف البشارة فانها مخصوصة بالمطيع من امته وبخلاف
الانذار فلسبق الرحمة على الغضب وسعتها فانه مخصوص
بالعاصي منهم • واما تقديم البشارة على الانذار فلسبق
الرحمة على الغضب وسعتها قال الله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين ان عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي
وسعت كل شي **لتومنوا بالله ورسوله** بوعده وبالجنة
وبالبعث بعد الموت وبرسالة رسوله او بجميع ما امر الله
ان يومن به وهو الاظهر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والامة فانه كما يجب على الامة الايمان برسالته كذلك
يجب على الرسول الايمان بها اولهم على ان خطابه بمنزلة
خطابهم وحذفت نون الجمع لتقدير ان بعد اللام وقرا

ابن

ابن كثير وابو عمرو ليومنوا بالياء وكذا يعزروه ويوقروه
ويسبحوه واختاره ابو عبيد لذكر المومنين قبله وبعده فاما
قبله فقوله ليدخل المومنين واما بعده فقوله ان الذين
يبايعونك والباقون بالتاء على الخطاب واختاره ابو حاتم
قال العلامة الزمخشري الضمير في ليومنوا للناس المدلول
عليه بقوله انا ارسلناك لانه يدل على المرسل اليهم
وتعزروه اي تعظموه وتفخموه قاله الحسن والكلبي وقال
قتادة تنصروه وتمنعوا عنه ومنه التعزير في الضرب
دون الحد لانه مانع عن الاتيان بما يوجبه وقريب من هذا
ما قاله العلامة البيضاوي وتقووه بتقوية دينه ورسوله
وتوقروه التوقير التعظيم والترزين فان حمل التعزير
على المعنى الاول يكون هذا تاكيدا له وان حمل على المعنى
الثاني يكون تاسيسا وهو الاولى **وتسبحوه** قال العلامة
الزمخشري من التسبيح او من السبحة وتبعه العلامة البيضاوي
حيث قال في تفسيره وتنزهوه وتصلوا له لان تسبيح الله
تعالى تنزيهه وتبعيده عن جميع ما لا يليق به • والمراد
اعتقاد تنزهه مع الاقرار به • في القاموس السبحة الدعا
وصلوة التطوع فاذا اريد به الصلاة كان فيه الحذف
والايصال مع التجريد عن قيد التطوع واليه اشار العلامة
بقوله او تصلوا له • واما تفكيك الضماير بجعل الاولين
للرسول والثالث له تعالى بسبب ان التعزير والتوقير

لا يستعملان في حقه تعالى ففيه بعد لا يناسب بلاغة القران
وعدم استعمالها في حقه ممنوع لان التعزير ان كان بمعنى
التعظيم والتفخيم فالامر ظاهر وان كان بمعنى النصر والاعانة
فالمراد اعانة دينه ورسوله واما التوقير فلا اشكال فيه
وانما يتوهم الاشكال في التعزير لانه من الاضداد يستعمل
في اللوم والضرب ايضا فتامل ولا يذهب عليك حسن المقابلة
بين النعم المعدودة الفايضة من الله تعالى وبين الخصال
المحمودة المطلوبة من العباد شكرا له على تلك النعم مع رعاية
اللف والنشر المرتب وهي الارسال والشهادة والبشارة
والانذار وما يقابلها الايمان والتعزير والتوقير
والتسبيح فشكر نعمة الارسال الايمان بالله والرسول
وشكر نعمة شهادة الرسول التي تعين العباد على العبادة
التعزير الذي هو الاعانة لدينه وشكر نعمة البشارة
بالنعم الموجبة لتعظيم من ينعم بها التوقير للمنعم وشكر نعمة
الانذار الموجبة لترك المنهيات وما لا يليق بمقام العبودية
التسبيح الذي هو تنزيه المعبود عما لا يليق به وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها • سبحان من انزل جوامع الكلم يغوص
في بحارها العارفون • لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم
افلا تعقلون بكرة واصيلا قال العلامة البيضاوي غدوة
وعشيا او دايما والغدو اول النهار والعشي اخره وقد
يراد بهما الدوام عرفا فكانه اكتفى بذكر طرفي النهار

عن الكل وبذكر النهار عن الليل لان النهار مع كونه وقت
تفرقة البال اذا كان مشغولا بتسبيحه فالليل اولى به
فعلى هذا يكون المراد من التسبيح التنزيه لا الصلوة لانه
تعالى ما جعل في الدين من حرج • فان قلت هل يمكن دوام
التنزيه • قلت نعم ان اريد بالدوام اكثر الاوقات او اريد
بالتنزيه ما يعم دلالة الحال والمومن اذا بلغ درجة الكمال
في الايمان تصير عاداته البشرية من الاكل والشرب والنوم
وملامسة النساء الى غير ذلك عبادات وذلك لحسن نيته
وقصده من كل منها ما يتوسل به الى القربة ولا يصل
الى هذا المقام الاعند تنزهه عن الكدورات البشرية
وصفا باطنه وتخلقه باخلاق الله تعالى وحينئذ تصفو
جميع اوصافه واحواله من الادناس فالعارف اذا نظر
بنور الله الى كل من احواله المطهرة من الارجاس يتذكر
تنزه ربه المنعم عليه بنعمة الطهارة فاذن جميع احواله
مسبحة بلسان الحال باعتبار الدلالة المذكورة • فان قلت
التنزيه باعتبار دلالة الحال ليست باختيارية والتسبيح
المامور به لا يكون الا اختياريا • قلت قد يكون فعل
العبد مامورا به باعتبار مباديه الاختيارية الموصلة
اليه من المجاهدات والرياضات وان لم يكن في نفسه اختياريا
كقوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون فان الموت على ملة
الاسلام باعتبار ذاته ليس تحت اختيار العبد بخلاف

مباديه من الاعمال الصالحة والاستقامة عليها والله تعالى
اعلم هذا اذا اريد بهما الدوام واما اذا اريد حقيقة
الوقتين فوجه تخصيصهما ان كلا منهما وقت اجتماع
الملايكة التي هي حرسة الليل والنهار لان حرسة الليل
انما يطلعون بعدما ان حرسة النهار ينزلون في اول
النهار وفي اخر النهار عكسه فكل منهما وقت اجتماع الفريقين
نازلين طالعين ولمن سبح في هذين الوقتين شاهدين
اوان اول النهار وقت تلافي ما فاته من الليل بسبب
النوم والغفلة واخره وقت الاستغفار مما وقع في
النهار وفيه اشارة الى ان العبرة بالبداية والخاتمة
اذا كانت على الصلاح والسداد لا باس بما يقع على
الوسط كما ورد في الحديث من ان ما يقع من الذنوب بين
الصلاتين يرتفع بهما ان الحسنات يذهبن السيآت
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالتسبيح ههنا
صلوة الفجر وصلاة الظهر والعصر ولما ذكر ان المقصود
من ارسال الرسول الايمان بالله ورسوله ونصرة الدين
اراد ان يذكر من هو اكمل المومنين الموصوفين بالوصف
المقصود من الارسال فقال ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله المبايعة والبيعة العهد سمي بهما لان المتعاهدين
يصفقان عند المبايعة كالمتبايعين عند البيع عن عبادة
ابن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر
واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى ان نقول
في الله لا ناخذنا لومة لايم وعلى ان ننصره اذا قدم
علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه انفسنا وازواجنا وابناءنا
ولنا الجنة فمن وفى وفى الله له ومن نكث فانما ينكث على
نفسه وكلمة انما للحصر بمعنى ما والا فالمعنى ما يبايعون
الا الله ويتجه عليه انه كيف يثبت مبايعة الرسول لكونه
يبايعونك ونفيها في ضمن الحصر والجواب ان المعنى ان
الذين يبايعونك في الصورة ما بايعوك في الحقيقة
بل بايعوا الله لانه المقصود بمبايعتهم • فان قلت
حقيقة المبايعة وهي العهد قد تحققت من المومنين بالنسبة
الى النبي صلى الله عليه وسلم فلا يصح نفيها بحسب الحقيقة
من حيث هي بل انا وان نزلها منزلة العدم كما ان
نور الشمس يمنع ظهور الكواكب فتصير كانها معدومة
بيان ذلك ان الكمل من الموحدين الواصلين الى مقام الاحسان
يعبدون الله كانهم يرونه فيغلب عليهم شهود الحق
تعالى وتقدس بحيث ينطوي سلسلة الوسايط عما بين
الشاهد والمشهود فيسقط ساير الاضافات من درجة
الاعتبار عند ظهور سطوع سلطان التوحيد فكانهم
بايعوا الله لا غيره حين بايعوا رسوله يد الله فوق ايديهم
من المتشابه واختلف في تفسير المحكم والمتشابه والراجح

كما لا يصح بحسب الصورة فليس المراد نفي تلك الحقيقة م

ان ما اتضح معناه هو المحكم فيشمل النص والظاهر والمتشابه
بخلافه فيشمل المجمل والمؤول وجمهور اهل السنة منهم
السلف واهل الحديث على الايمان به وتفويض المراد منه
الى الله تعالى وتنزيهه سبحانه عما لا يليق به مما يفهم منه
بحسب الحقيقة اللغوية • وذهبت طايفة من اهل السنة
الى تاويله على ما يليق بجلاله تعالى وهذا مذهب الخلف
قال الاشعري ان اليد صفة ورد بها الشرع والذي يلوح
من معنى هذه الصفة انها قريبة من معنى القدرة الا
انها اخص والقدرة اعم كالمحبة مع الارادة والمشية فان
في اليد تشريفا لازما • وقال السهيلي اليد في الاصل
كالمصدر عبارة عن صفة لموصوف ولذلك مدح سبحانه
بالايدي مقرونة مع الابصار في قوله اولي الايدي
والابصار فلم يمدحهم بالجوارح لان المديح انما يتعلق
بالصفات لا بالجواهر وفيه انه بمنزلة ذو مال والمال
من الجواهر • وقال العلامة الزمخشري لما قال انما
يبايعون الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله التي تعلو
ايدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح
وعن صفات الاجسام وان المعنى تقرير ان عهد الميثاق
مع الرسول كعهده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله
تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله انتهى وتبعه
العلامة البيضاوي حيث قال حال او استيناف موكد له

على سبيل التخييل انتهى • اقول بيان ذلك انه لما شبه متابعة
الرسول صلى الله عليه وسلم بمتابعة الله تشبيها بليغا بحذف
اداة التشبيه كقولهم زيد اسد واصل التركيب ان الذين
يبايعونك كانما يبايعون الله ومن ضرورة ذلك تشبيه
الذات المقدس بالمبايع تشبيها مضمرا في النفس تحققت
هناك استعارة بالكناية اما على راي صاحب التلخيص فهي
عبارة عن التشبيه المضمر في النفس واما على راي صاحب
المفتاح فهي عبارة عن لفظ المشبه المستعمل في المشبه
به بادعاء دخول المشبه في المشبه به وكونه من جنسه كما
اذا قيل المنية ويراد بها السبع بادخالها في جنس السبع
ادعاء واعتبار ان السبع له فردان حقيقي وهو الحيوان
المفترس وادعائي وهو المنية فالمنية المستعملة في
السبع الادعائي استعارة بالكناية على رايه وههنا لا يمكن
اعتبار رايه والا يلزم استعمال الجلالة في غير الذات
المقدسة وهو لا يجوز اجماعا واما على راي غيرهما فهي
عبارة عن اسم المشبه به المتروك صريحا المضمر في
النفس تشبيه المذكور بمسماه المرموز اليه بذكر لوازمه
ففي قوله انشبت المنية اظفارها لفظ السبع المشبه
بمسماه المنية تشبيها مضمرا في النفس استعارة بالكناية
ولا شك انه غير مذكور لكنه قد رمز اليه بذكر بعض
لوازمه وهو لفظ الاظفار فالاستعارة بالكناية فيما

نحن فيه على رايهم لفظ المبايع المرموز اليه بذكر المبايعة
واليد واذا عرفت هذا فنقول الاستعارة التخييلية
التي اشار العلامة اليها بقوله على طريق التخييل عبارة عن
اثبات اليد التي هي من لوازم المشبه به اعني المبايع
للمشبه المذكور وهي قرينة الاستعارة بالكناية وعلى
هذا راي صاحب التلخيص واما على راي غيره فهي عبارة
عن لفظ اليد المثبتة للمشبه المذكور لكن الفرق بين
مذهب السكاكي ومذهب الجمهور انه يقول ان الاستعارة
التخييلية ما لا تحقق لمعناه حسا ولا عقلا بل هو صورة
وهمية محضة لا يشوبها شي من التحقق الحسي والعقلي كلفظ
الاظفار في قول الهذلي واذا المنية انشبت اظفارها
فانه لما شبه المنية بالسبع في الاغتيال اخذ الوهم في
تصويرها بصورته واختراع لوازمه لها فاخترع لها
مثل صورة الاظفار ثم اطلق عليها لفظ الاظفار ولا
يمكن اعتبار مذهبه فيما نحن فيه تعالى الله عن ان يثبت
له صورة وهمية مخترعة مرادة من لفظ وقد صرح العلامة
بان المراد منها يد رسول الله التي تعلو يد المبايعين لكنها
اضيفت الى الله لنكتة ذكرها بل نقول كلام العلامة
ههنا يدل على بطلان مذهبه لانه يدل على تحقق التخييل
في مادة لا يتصور ما اعتبره فيه من الصورة الوهمية
اللهم الا ان يقال انه لم يعترف بوجود التخييل ههنا فتامل

والجمهور على ان المراد من الاظفار معناه الحقيقي لكنه اثبت
للمنية مجازا استعارة بان المنية من كمال شبهها بالسبع
استحقت ان يثبت لها لوازم السبع وتصور بصورته
وقول العلامة اكد تاكيدا على طريق التخييل معناه ان
التشبيه البليغ في قوله تعالى انما يبايعون الله افاد ان
عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله بلا تفاوت
والاستعارة بالكناية المقرونة بالتخييلية ايضا تفيد
هذا المعنى كما عرفت فيما فصلناه فتكون الجملة المشتملة
على الاستعارتين تاكيدا للجملة المشتملة على التشبيه البليغ
وليس المراد التاكيد النحوي بل ما هو مصطلح ارباب
المعاني وهو الجملة المذكورة بعد جملة اخرى عند تقرير
مضمون الثانية مضمون الاولى ولهذا اتى بالجملة الثانية
بغير عطف وانما ذكر العلامة التخييل دون الكناية لانه
المذكور صريحا ولاستلزامه الكناية فاكتفى بذكر احد
المتلازمين عن الاخر • فان قلت ان المشبه في التشبيه
المضمر الذي جعل التخييل قرينة له اما المبايع المطلق
او الخاص وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى الاول لا يصح
جعل يد الرسول من لوازم المشبه به كما يفهم من كلام
العلامة لعموم المشبه به وخصوص يد الرسول وعلى
الثاني يرد عليه ان اليد في قوله تعالى يد الله لعمومها
لا تختص بيد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا دلالة للعام

علي الخاص باحدي الدلالات الثلاث فكيف يصح قوله يد بديهم
يد الرسول • قلت لنا ان نختار الشق الاول ونجعل التخييل
عبارة عن اثبات اليد مطلقا وارادة خصوصية اضافتها
الي الرسول بقرينة المقام او الشق الثاني ونقول ان اليد
وان كانت تعم الايادي كلها لكنها مقرونة بما يخصها وهو قوله
تعالي فوق ايديهم لان اليد الموصوفة بفوقية ايدي
المبايعين المذكورين في قوله تعالي ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله انما هي يد رسول الله صلي الله عليه وسلم
لا غير فعلي هذا التخييل عبارة عن اثبات يد الرسول للمشبه
وهذا كله مبني علي ظاهر كلام العلامة وحمل التخييل المذكور
فيه علي ما هو مصطلح علم المعاني من الاستعارة التخييلية
واما ان حمل علي المعني اللغوي فان اضافة اليد الي المنزه
عن الجوارح تعالي وتقدس مجرد تخييل وتصوير لغرض المبالغة
والتاكيد علي ما عرفت فلا حاجة الي الاعتبارات المذكورة
وهو اسلم لكنه بعيد عن عبارته لانه جرت عادته في تفسيره
باستعمال الالفاظ الاصطلاحية في معانيها المصطلحة •
ولهذا اطنبنا الكلام فيه والله اعلم بمراده وقريء انما يبايعون
لله اي لاجل الله ولوجهه **فمن نكث** اي نقض العهد
والضمير العائد اليه محذوف لوجود القرينة **فانما ينكث
علي نفسه** تعديته بعلي باعتبار تضمنه معني المضرة او الظلم
فالمعني فمن نقض العهد المذكور في قوله ان الذين يبايعونك

الاية فانما ينقضه ظالما علي نفسه فلا يقع ضرر نكثه الا عليه
ذكر العلامة الزمخشري في تفسير هذا المحل قول جابر بن
عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول الله صلي الله عليه
وسلم علي الموت وعلي ان لا نفر فما نكث احد منا الا جد بن قيس
كان منافقا اختبي تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم
ولا يخفي عليك ان هذه الرواية تدل علي ان المنافق المذكور
ما حضر مجلس المبايعة ولا بايع فكيف يتحقق في حقه نقض
ونقض العهد فرع وجوده ويمكن ان يجاب عنه بان الذي
خالف المبايعين في اصل المبايعة وفي موجبها كمن بايع ونقض
في الاثم بل مواسه انما فيدخل في الناكث مجازا فيصح
الاستثنا عند تعميم الناكث بحيث يشمل الحقيقي والحكمي
او نقول انه وان لم يحضر تحت الشجرة بصيانة الله تعالي
اهل بيعة الرضوان عن خلطة المنافق لكنه اظهر بعد
ذلك كونه مشاركا لهم في المبايعة والتزام موجبها كما
هو شان المنافقين فيتصور نقضه حينئذ بلا تاويل
وهذا التوجيه اقرب والله اعلم • وكلمة من يجوز ان تكون
شرطية او موصولة لكن الموصولية تقتضي كون الصلة
معلومة عند المخاطب ومعلوميتها ان كان من حيث
الجنس فظاهر وان كان من حيث العهد فيصح عند اطلاق
النبي صلي الله عليه وسلم علي حال المنافق المذكور وقت
نزول الاية الكريمة **ومن اوفي بما عاهد عليه الله** في الوفا موضع

وفى بالعهد كوعى ووفاه غدرك ووفى وعاهد اي عقد موثقا
بينهما والمعنى من وفى بعهد عاهد الله عليه ذلك العهد
وتعدية المعاهدة الى العهد بعلى باعتبار تضمنها معنى الاتفاق
فكان المتعاهدين يتفقان على موثق ينعقد بينهما وقرئ
عهد وقرا حفص عليه الله بضم الهاء **فسيؤتيه اجرا عظيما**
الاجر الجزاء على العمل وهو الجنة قال الله تعالى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية وانما قال ههنا
فسيؤتيه ولم يقل فيما يقابله فسيعذبه عذابا اليما وما
اشبه ذلك بل قال فانما ينكث على نفسه اشعارا بان النوال
من الله والعذاب من انفسهم كما قال عز من قائل ما اصابك
من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وانما
قدم وعيد النكث على وعد الوفاء لان التخويف ادخل في الاهتمام
بشان الوفاء ورعاية للفواصل والاية نزلت في بيعة الرضوان
وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر فسنؤتيه بالنون واختاره
الفراء وقرا الباقون بالياء وهو اختيار ابي عبيد لقرب اسم
الله منه **سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا**
اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالهم
فاستغفر لنا لما ذكر ما يوجب كمال المدح في حق المبايعين
المجاهدين باموالهم وانفسهم في سبيل الله لكمال رسوخهم
وثباتهم على الايمان عقبه بذكر ما يوجب كمال الذم في حق
المخلفين المتزلزلين في الدين المعتذرين باعذار كاذبة

موجبة

موجبة افتضاحهم قال مجاهد وابن عباس رضي الله عنهما يعني
اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل وهم
الاعراب الذين تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم حين
اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا بعد ما استنفر
من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه
حذرا من قريش ان يتعرضوا له بحرب او يصدوه عن
البيت وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد الحرب فتثاقلوا
عنه وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره اي وسطه
بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا
ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم
وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم فنزلت • وقيل لما سار
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر حين انصرف من
الحديبية تخلف عنه اناس من الاعراب فلحقوا باهاليهم
فلما بلغهم فتح خيبر ساروا اليه وقد كان الله امره ان
لا يعطي احدا تخلف عنه من مغنم خيبر شيا • اقول نزول
السورة بين مكة والمدينة والتعبير عنهم بالمخلفون يرجح
القول الاول لان ظاهر الكلام يدل على انهم كانوا موصوفين
وقت نزول السورة بالتخلف • وفي قوله تعالى من الاعراب
اشارة الى غاية شدة نفاقهم لقوله تعالى الاعراب اشد
كفرا ونفاقا • في القاموس العرب بالضم والتحريك خلاف
العجم مونث وهم سكان الامصار او عام والاعراب منهم

سكان البادية لا واحد له وجمع اعاريب والمخلف من خلفه
فتخلف اي اخره فتاخر قال العلامة البيضاوي وانما خلفهم
الخذلان وضعف العقيدة والخوف عن مقاتلة قريش ان
صدوهم والاهلون جمع اهل وقد يقال اهلات على تقدير تا
التانيث كارض وارضات وقد جا اهله واما اهال فاسم
جمع كليال وقري شغلتنا بالتشديد للتكثير والشغل بالضم
وبضمتين وبالفتح وبفتحتين ضد الفراغ **يقولون بالسنتهم**
ما ليس في قلوبهم قال العلامة البيضاوي تكذيب لهم في
الاعتذار والاستغفار وكونهم كاذبين في الاعتذار ظاهر
لا يحتاج الى تاويل لان قولهم شغلتنا الى اخره كلام خبري
غير مطابق للواقع واما في الاستغفار فلابد من تاويل لان
قولهم فاستغفر لنا انشاء وهو لا يوصف بالصدق والكذب
وتاويله انه انشا يتضمن اخبارا وهو كونهم نادمين على تخلفهم
طالبين للمغفرة باستغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهم وهذا كذب لعدم ندامتهم وعدم طلبهم ذلك لعدم
رسوخهم في الايمان على ان الاية الكريمة لا تدل على ما في السنتهم
مجرد كلام خال عن اللب لا حقيقة له فلا عبرة به لان الكلام
اخبارا كان او انشا لابد له من حقيقة حتى يعتد به وحقيقته
ان كان خبرا اتصاف نفس المتكلم بالاعتقاد بمضمونه او لا
اذا كان نا قلا فان حقيقته حينئذ كونه متلفظا بمضمونه
عن الغير في نفس الامر وان كان انشاء اتصاف نفس المتكلم

مضمونه

بمضمونه فان كان طلبيا مثلا مثل قوله استغفر فحقيقته كلا
اتصاف قلبه بطلب الاستغفار في نفس الامر والطلب كيفية
قايمة بالنفس فاذا قال استغفر وليس ما يدل عليه هذا
القول وهو الطلب المذكور في قلبه يصدق عليه انه قال
بلسانه ما ليس في قلبه فظهر ان معنى الاية لا يحتاج الى
اعتبار الكذب بالتاويل والمقصود في هذا المقام بيان
ان اعتذارهم ليس بشي لخلوه عن الحقيقة لكن التكذيب ادخل
في الذم على انه لو فرض كونهم صادقين في الاعتذار فهو ليس
بشي سيما بعد استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم اياهم
لقوله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن
ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
حتى ياتي الله بامره • فان قلت ما الفايدة في ذكر الالسنة
وهل يكون القول الا بالالسنة • قلت فايدة الاشعار بما
سبق الكلام له لان تخصيص ملابسة قولهم بالة اللسان
في الذكر اشعار بان كلامهم غير مقارن بما في القلب من اللب
والحقيقة التي لا يعتبر الكلام بدونها وفيه من المبالغة
اكثر مما في قوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
للاشارة الى ان قولهم لا يستاهل ان ينسب الى الالسنة
فقط دون الافواه • قال العلامة الزمخشري تكذيب في
اعتذارهم وان الذي خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك

في الله والنفاق وطلبهم الاستغفار ايضا ليس بصادر عن
حقيقته وكلامه قريب مما بيناه قل فمن يملك لكم من الله شيا
ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا اي فمن يمنعكم شيا من مشية
الله وقضايه ان اراد بكم ما يضركم من قتل او هزيمة او خلل
في المال والاهل وعقوبة على التخلف او اراد بكم ما يضاد
ذلك من المنافع وانما قال فمن يملك لكم ولم يقل فمن يمنعكم ليفيد
نفي المنع بطريق برهاني فان من لم يملك شيا لم يقدر على منع
الغير فيه لان المراد من الملك قدرة التصرف والمنع تصرف
في الممنوع منه والتصرف موقوف على القدرة فنفي القدرة
يستلزم نفي التصرف على الوجه الاكد وتعديته باللام في
لكم باعتبار تضمنه معنى التصرف اللازم للقدرة كانه يقول
من يتصرف لاجلكم بتغيير قضا الله تعالى من منع الضر
او النفع • فان قلت كيف يصح معنى اللام الذي هو المنفعة
في منع النفع بالنسبة الى المخاطبين • قلت المعنى لاجلكم
وهو اعم من ان يكون لاجل منفعتهم او لاجل مضرتهم والمضاف
محذوف في قوله من الله وقد اشرنا اليه والتنوين في شيا
للتحقير فانه اذا لم يقدر على التصرف في حقير من المقضيات
فكيف يتصرف فيما هو اعظم منه وكلمة من بيان لشيا قدم
عليه الضر بالفتح والضم ضد النفع او بالفتح مصدر
وبالضم اسم ويراد بهما ما يضر وما ينفع مجازا شايعا
والفا للجزا لشرط محذوف يدل عليه ان اراد بكم ضرا او قوله

حمزة

حمزة ضرا بضم الضاد ههنا فقط وهو اسم لما ينال الانسان
من الهزال وسوء الحال والباقون بالفتح وقيل هما لغتان بمعنى
كالفقر والفقر والضعف والضعف والقول المذكور
وعيد ورد لاعتذارهم ثانيا بعدما ابطله اولا بالتكذيب
وخلوه عن الحقيقة التي هي مناط صحة الاعتذار والاستغفار
وحاصله ان اعتذاركم غير نافع لكم عند الله لانه يعلم سركم
ونجواكم وقد ارتكبتم سخطه بما فعلتم ولا يجترئ عاقل على
مثل هذا الاعتذار اعتمادا على من يقدر ان يدفع عنه موجدة
او عند الخوف ممن يقدر ان يمنع عنه منفعة قدرته
ولم يتحقق شي منهما فما انتم الا قوم جاهلون ما تعرفون
ضركم ولا نفعكم بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم ما هو
سبب تخلفكم وقصدكم فيه وفساد عذركم وهذا وعيد
اخر الخبر النبا ورجل خابر وخبير بكذا عالم به وكلمة بل
للاضراب فان تخلفهم واعتذارهم بالاكاذيب يدل على
انهم كانوا ينكرون علم الله وخبرته بما يفعلون تعالى شانه
عما يظنون بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمومنون
الى اهليهم ابدا اضراب اخر عما يدل عليه صريح اعتذارهم
وهو ان سبب تخلفهم انما كان محافظة ما به قوام المعيشة
ومحافظة الاهل التي هي اهم منه لا غير والمعنى ليس سبب
التخلف ما تقولون بالسنتكم بل السبب انكم ظننتم عدم
انقلاب الرسول والمومنين الى اهليهم ابدا وانهم سيهلكون

لان المشركين يستاصلونهم فكان هذا الظن سبب تخلفكم
باعتبار خوف الهلاك على انفسكم وان المومنين اذا انقرضوا
لا يضركم التخلف عنهم يقال قلبه اي حوله عن وجهه
كاقلبه وقلبه فانقلب ٭ والى ابدا محركة الدهر وهو ظرف
للنفي المستفاد بلن وهي لا تدل على التابيد حتى يستغنى عن
ذكر الابد فلا حاجة الى ان يحمل على التاكيد وزين ذلك
اي الظن وقرى الى اهلهم بدون اليا وزين على البنا للفاعل
اي الشيطان او الله عز وجل وكلاهما جا في القران وهو قوله
تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم وزينا لهم اعمالهم فان
قلت كيف رجع الضمير الى الشيطان ولم يسبق ذكره قلت
قد يرجع الضمير الى المتقرر في الاذهان فيجعل تقريره فيها
قايما مقام سبق ذكره عند وجود القرينة ٭ اما التقرر
فباعتبار ان المومن لا يزال يجاهده وقد ورد ان في القلب
بيتين في احدهما الملك وفي الاخر الشيطان للحديث
واما القرينة فكون الكلام في بيان اتباعه من المنافقين
وذكره صريحا فاعلا للتزيين في كثير من المواضع في القران
والقران يفسر بعضه بعضا في قلوبكم فتمكن فيها قال
العلامة البيضاوي في قوله تعالى زين للذين كفروا الحياة
الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا
عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى
اذ ما من شي الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البنا

للفاعل

للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق فيها من
الامور البهية والاشيا الشهية مزين بالعرض انتهى كلامه
والقلوب ظرف للتزيين باعتبار نسبته الى المفعول وهو
الظن المذكور لان ظهور اثر التزيين فيه انما هو عند التمكن
والظن الفاسد اذا تمكن في القلوب يكون اسوا من غير
التمكن وظننتم ظن السوء يحتمل ان يراد به الظن المذكور ويكون
المراد به التسجيل عليه بالسوء او هو وساير الظنون الفاسدة
الناشية عن النفاق وحكاية قصة المخلفين المنافقين ههنا
واثبات سو الظن لهم بعض تفصيل لما ذكر مجملا في صدر
السورة اعني قوله تعالى الظانين بالله ظن السوء في حق
المنافقين وكنتم قوما بورا البور من بار كالهلك من هلك
بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمونث والمذكر
ويجوز ان يكون جمع باير كعايذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما
فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او هالكين
عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه ويناسب هذا ظنهم
في حق الرسول والمومنين انهم هالكون في سفرهم ولن
ينقلبوا ابدا ومن لم يومن بالله ورسوله فانا اعتدنا
للكافرين سعيرا افاد ان المخلفين ما كانوا مومنين لاندراجهم
تحت عموم كلمة من والا لم يبق لهذا الكلام مناسبة لما قبله
وما بعده لكونهما في بيان حالهم وذلك بنا في بلاغة القران
قال العلامة الزمخشري مقام مقام لهم للايذان بان من

لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر ونكر سعيرا لانها نار
مخصوصة كما ذكرنا ولعلي انتهي بمعنى وضع الكافرين موضع
الضمير الراجع الى المبتدا للايذان الى اخره • فان قلت الايذان
المذكور انما يتم على تقدير ارجاع النفي الى الايمان من حيث تعلقه
بمجموع المعطوف عليه والمعطوف من حيث هو مجموع واما على
تقدير ارجاعه من حيث تعلقه الى كل منهما مستقلا فلا
لانه حينئذ يفيد السلب الكلي فيلزم كفر من لم يومن بالله
ولا بالرسول ولا يلزم من هذا كفر من يومن باحدهما دون
الاخر ومع تحقق هذا الاحتمال لا يتم الايذان المذكور •
قلت هذا الاحتمال بعيد من العبارة جدا لان الظاهر المتبادر
من النفي الداخل على فعل عطف على معموله شي بالواو التي
لمطلق الجمع ان يكون راجعا الى قيد الاجتماع او الى المجموع
فان كان الاول فالامر ظاهر وان كان الثاني فكذلك لان
نفي المجموع اما باعتبار انتفا كل جزء او باعتبار احد الجزئين
فيترتب الحكم على كل من الاحتمالين فيتم الايذان المذكور
واما اذا كان المقصود السلب الكلي ونفي كل واحد من الامرين
على حدة فحينئذ يقال من لم يومن بالله ولا برسوله كما لا يخفى
على المتتبع في كلام العرب • وفي القاموس العتيد الحاضر
المهيا والمعتد المعد وتنوين سعيرا اما للتهويل او لانها
نار مخصوصة فكان للنوع والسعير فعيل بمعنى مفعول
من سعرت النار اذا الهبتها **ولله جنود السموات والارض**

الملك اما مصدر او ملكا اي احتواه قادرا على الاستبداد به
والاضافة هي اضافة المصدر الى المفعول لان الكل مملوك
له والمعنى لله مالكيتهما وتقديم الظرف للحصر اي له لا لغيره
واما بمعنى المملوك فيكون من قبيل اضافة العام الى الخاص
واما بمعنى السلطنة والولاية المطلقة وهو الاظهر المناسب
لقوله تعالى ولله جنود السموات والارض والمراد ان له
الملك المطلق الشامل لجميع الكائنات يتصرف فيها وهو
نظير قوله ولله جنود السموات والارض في الدلالة على انه
قادر على كل شي من الفتح والنصر والثواب والعقاب
الى غير ذلك ومؤكد مضمونه لان الملك اذا كان له يلزم
ان يكون الجنود له لان المراد من السموات والارض جميع
العلويات والسفليات والجنود من جملتها ولما كان سياق
السورة في بيان قدرته الباهرة الموجبة لانجاز وعده
من النصر وغيره واستقلاله في التصرف في ملكه كرر
هذا المضمون مرارا لاستلزامه تحقق المسوق له وتنبيها على
ان من يعتقد لا يشك في ان الله تعالى منجز وعده لرسوله
والمومنين من الفتح والنصر والمغفرة وثواب المطيع وعذاب
العاصي فقوله **يغفر لمن يشا ويعذب من يشا وكان الله
غفورا رحيما** تفصيل لما اجمل واكتفا بما هو المهم في الوعد
والوعيد ولما كانت الجملة بيانا لما قبلها ترك العطف لكمال
الاتصال بينهما وفيه دليل على ان الله تعالى فاعل مختار

كما هو مذهب اهل الحق لا موجب كما هو راي الحكما لان المغفرة
والتعذيب اذا كانا مسبوقين بالمشية والاختيار يلزم
ان يكون غيرهما من افعال الله تعالى كذلك لعدم القايل بالفصل
فان قلت المشية لا تستلزم الاختيار لانها مجرد الارادة
ولابد في الاختيار كون الفاعل بحيث ان شا فعل وان شا
لم يفعل ويصح فيه الفعل والترك ومن الجايز ان لا يصح في
حقه تعالى ترك المغفرة لمن شا مغفرته وترك التعذيب
لمن شا تعذيبه كما قال صاحب الكشاف في تفسير هذا
المحل فيغفر ويعذب لمشيته ومشيته تابعة لحكمته
وحكمته المغفرة للتايب والتعذيب للمصر • قلت يابى
هذا الاحتمال سياق الاية وسباقه وصرايح النصوص من
الكتاب والسنة ولا يناسب كمال قدرته تعالى وتقدس
لدلالتها على كونه في اعلى مراتب القدرة يتصرف في ملكه
كيف يشا من التصرفات من غير تقييد لا انه كالمضطر عند
الحكمة التي اقتضتها عقل البشر لانه ينافي كمال القدرة
فان قلت كما انه تعالى موصوف بالقدرة الكاملة موصوف
بالحكمة البالغة وهي تقتضي ترجيح ما هو الاصلح للعباد
قلت سلمنا انه يرجح الاصلح لكن لا يجب عليه الترجيح المذكور
بحيث لا يصح منه ترك الاصلح لانه لا يجب عليه شي ولا
يسال عما يفعل وكونه قادرا على اختيار غير الاصلح لا ينافي
حكمته البالغة • فان قلت صحة الفعل والترك معناها

امكانهما

امكانهما وليس المتنازع فيه الامكان الذاتي بل الامكان في
نفس الامر على معنى انه لا يلزم من فرض وقوعه محال ولا شك
انه يلزم من فرض وقوع خلاف الاصلح محال وهو النقص
في حكمته البالغة • قلت لا نسلم ان ترك الاصلح يوجب النقص
في الحكمة وانما يلزم النقص اذا كان خاليا عن المنفعة
بالكلية ويجوز ان يتحقق في ترك الاصلح ايضا حكمة ومنفعة
واقلها اظهار كمال القدرة واظهار شمولها جميع الممكنات
والحاصل انا نقول كل ممكن مقدور وكل مقدور اذا فرض
وجوده لا يخلو عن حكمة وفايدة ولا محذور فيه فتدبر
وفي قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما بعد قوله تعالى يغفر
لمن يشا ويعذب من يشا اشارة الى سبق الرحمة وسعتها •
قال العلامة البيضاوي فان الغفران والرحمة من ذاته
والتعذيب داخل تحت قضايه بالعرض ولذلك جا في الحديث
القدسي سبقت رحمتي غضبي فكانه اراد بكونهما من ذاته
صدورهما عن الذات بغير واسطة توجب ذلك بخلاف
التعذيب فانه لا يصدر الا بواسطة امر عارض من المعذب
من كفر ونفاق الى غير ذلك فالاول فضل والثاني عدل
سيقول المخلفون يعني المذكورين **اذا انطلقتم الى مغانم**
لتاخذوها يعني مغانم خيبر لان الله عز وجل وعد اهل
الحديبية فتح خيبر وانها لهم خاصة من غاب منهم ومن حضر
ولم يغب الا جابر بن عبد الله فقسم له رسول الله صلى الله

وسلم كسهم من حضر • قيل انه عليه السلام رجع من الحديبية
في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوايل
المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا
كثيرة فخصها بهم وفي ذكر لنا خذ وها مع انه يفهم من الانطلاق
الي المغانم اشارة الي ان المومنين كانوا يعلمون حصولها
قبل الانطلاق بموجب وعد الله تعالي كان المغانم معدة
لهم فهم ينطلقون اليها ليقبضوها وتصريح بما هو سبب
قصد المنافقين اتباع المومنين في التوجه الي خيبر فانهم لما
علموا هذا المعني من المومنين قالوا ذرونا نتبعكم ولم
يعلموا ان الله قد انفهم قبل ان يرجع النبي صلي الله عليه وسلم
الي المدينة بانزال الايات الدالة علي كذبهم ونفاقهم
وقولهم بما ليس في قلوبهم وطلبهم اتباع النبي صلي الله عليه
وسلم للغانم ارادة تبديل كلام الله اخبارا بالغيب وانما
قلنا هذا لان السورة انما نزلت بين مكة والمدينة علي ما سبق
ويقال ذره اي دعه وهو يذره واصله وذره يذره كوسع
يسع وقد اميت ماضيه فلا يقال وذره ولا يقال واذر
ولكن تركه وهو تارك والاتباع من تبعه تبعا وتباعة
مشي خلفه يريدون يعني المخلفين بقولهم هذا وارادتهم
اتباع المومنين ان يبدلوا اي يغيروا كلام الله وهو وعده
لاهل الحديبية ان يعوضهم مغانم خيبر ولا يعطي منها احدا
تخلف عنه وقيل قوله ولن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه

في

في تبوك والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرا
حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة والجملة حال من فاعل
سيقول قل لن تتبعونا نفي في معني النهي في القاموس لن
حرف ينصب المستقبل اصله لا ان خففت اولا فابدلت
الالف نونا وترد للاستقبال ولا تفيد توكيد النفي ولا
تابيده علي الصحيح وترد للدعاء • اقول يجوز ان يكون المراد
من قوله تعالي كلام الله هو قوله لن تتبعونا • فان قلت
كيف يصح ان يراد وهو رد لقولهم ذرونا نتبعكم فيكون
متاخرا عنه وقولهم ذرونا مقارن ارادة تبديل كلام الله
فكان كلام الله المراد تبديله متقدما علي قولهم فلزم
تقدم كلام الله علي مقول قل اعني لن تتبعونا بواسطة
تقدمه علي المتقدم عليه • قلت قوله تعالي لن تتبعونا
انما نزل بين مكة والمدينة قبل وصول النبي صلي الله عليه
وسلم الي المدينة وقيل قولهم ذرونا مقرونا مع الارادة
المذكورة ودل علي كونهم ممنوعين عن اتباع المومنين وان
كان موجب الامر بكلمة قل خطابا للنبي صلي الله عليه وسلم
انما يتحقق بعد قولهم ذرونا ولا منافاة بينهما كذلكم اي
مثل ما قلت لكم من عدم اتباعكم ايها المخلفون قال الله من
قبل اي من قبل تهيوكم للخروج وتدبير ما يتعلق بالسفر
فسيقولون اي المخلفون بل تحسدوننا ان نشارككم في
الغنايم اضراب عما يدل عليه قوله صلي الله عليه وسلم امثنا

لقوله تعالى قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل من ان منعكم
عن الاتباع انما هو بموجب امر الله تعالى لا لشي من عندنا
فهم يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين في ذلك
وينسبون اليهم الحسد وهذا دليل على كفرهم ونفاقهم وهذا
الكذب منهم يحتمل ان يكون معتقدا لهم لسوء ظنهم وقياس
حال الاصفيا على صفاتهم الذميمة فان المومنين كانوا
كالمرايا لهم ينظرون فيهم عكوس ما في انفسهم ويحتمل ان
ان يكون مكابرة منهم وافترا مع علمهم بطهارة قلوب المومنين
من الحسد وغيره من الرذايل ● قال الجوهري الحسد ان
تتمنى زوال نعمة المحسود اليك **بل كانوا لا يفقهون الا قليلا**
اي لا يفهمون الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا دون
الاخرة قال الله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا فيكون
المستثنى منه مصدر الفعل المنفي ونصب قليلا على انه
مفعول مطلق ويجوز ان يكون نصبه على المفعولية فيكون
المعنى لا يفهمون شيا الا شيا قليلا والقلة اما باعتبار
الكمية لان علم المعاش بالنسبة الى علم المعاد قليل جدا
ولهذا يتعلمه ابنا الزمان في صغر سنهم من غير مدارسة
واما باعتبار الكيفية وهي المنقصة قال الله تعالى قل متاع
الدنيا قليل وهذا الاضراب رد من الله تعالى لما تضمنه
اضرابهم من علمهم بحسد المومنين وكونه سببا لمنع الاتباع
باثبات الجهل لهم بما يتعلق الى الدين وبما في قلوب المومنين

من النيات الصالحة وبما في نفوسهم الزكية عن الاوصاف الذميمة
من الحسد وغيره فلا يرد انه لا تنافي بين حسد قوم وجهالة
قوم اخر ولا بد من التقابل بين ما قبل بل الاضرابية وما
بعدها ولما نباهم بما في قلوبهم من النفاق وظنونهم الفاسدة
واوعدهم بما اعد لهم اجلا من العقاب عقبه بما كانوا يخافون
منه عاجلا من العذاب فقال **قل للمخلفين من الاعراب**
كرر التعبير عنهم بالمخلفين اشعارا بشناعة التخلف وبكونهم
من الاعراب اظهارا لجهلهم وغلظهم وبعدهم من العلم والدين
ستدعون الى قوم والقوم الجماعة من الرجال والنساء معا
او الرجال خاصة او يدخله النساء على تبعية **اولي باس**
شديد الباس هو مجاهدة العدو ● في القاموس الباس العذاب
والشدة في الحرب ووصفه بالشدة لكثرة المقاتلين وقوتهم
في الحرب ويجوز ان يكون صفة لقوم نظرا الى لفظه وتنوين
قوم للتعظيم بدلالة السياق والواجع ذ ومن غير لفظه
واختلف الرواية في تعيين ذلك القوم ● قال ابن عباس
وعطا بن ابي رباح ومجاهد بن ابي ليلى وعطا الخراساني
فارس والروم ● وقال كعب والحسن وعبد الرحمن بن ابي
ليلى الروم ● وعن الحسن ايضا فارس والروم ● وقال ابن جبير
هوازن وثقيف ● وقال عكرمة هوازن وغطفان يوم
حنين وقال الزهري ومقاتل بنو حنيفة اهل اليمامة اصحاب
مسيلمة وقال رافع بن خديج والله لقد كنا نقرا هذه الاية

فيما مضى ستدعون الى قوم اولي باس شديد فلا نعلم من هي
دعانا ابو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم قال العلامة
الزمخشري يعني بني حنيفة قوم مسيلمة واهل الردة جاهدهم
ابو بكر رضي الله عنه لان مشركي العرب والمرتدين هم الذين
لا يقبل منهم الا الاسلام والسيف عند ابي حنيفة رحمه الله
ومن عداهم من مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس يقبل منهم
الجزية وعند الشافعي رحمه الله لا تقبل الجزية الا من اهل
الكتاب والمجوس دون مشركي العرب والعجم والاية دليل على امامة
ابي بكر رضي الله عنه فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكيف يدعوهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا
معي عدوا والدعوة التي تجب اجابتها ما يكون من الامام ووجوب
الاطاعة يفهم من قوله تعالى فان تطيعوا الاية • فان قلت
عن قتادة انهم ثقيف وهوازن وكان ذلك في ايام رسول
الله صلى الله عليه وسلم • قلنا ان صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا
معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من مرض القلب والاضطراب
في الدين • او على قول مجاهد كان الموعد انهم لا يتبعون رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم
فتامل تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة
او الاسلام تعيين احد الامرين يدل على ان المراد من القوم المذكور
المرتدون او المشركون من العرب لان غير هؤلاء لا يتعين في

حقهم احد الامرين بل احد الامور الثلاثة المقاتلة او الاسلام
او اعطاء الجزية الا ان يراد من الاسلام الانقياد ليتناول قبولهم
الجزية وفي قراءة او يسلموا بمعنى الى ان يسلموا فلما اخبر انهم يدعون
الى قوم اولي باس شديد عقبه بذكر بيان حكم الاطاعة
والاجابة لتلك الدعوة والتولي عن اجابتها فقال •
فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من
قبل يعذبكم عذابا اليما المراد من الاجر الحسن هو الغنيمة
في الدنيا والنعيم الابدي في الاخرة وفي قوله تعالى كما توليتم
من قبل تاكيد لما سبق من ابطال معذرتهم وفسادها •
فان قلت قد علم مما سبق ان المخلفين كانوا منافقين والمنافق
كيف يوتى الجنة لاطاعته دعوة الجهاد • قلت المراد
اطاعة الرسول من حيث هو رسول فيستلزم الايمان والرجوع
عن الكفر والنفاق • قال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع
الله والاطاعة كالطاعة الانقياد والتولي قد يجي بمعنى
الادبار والاعراض وفي الثاني قد يتعدى بعن ليس على
الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
قال العلامة البيضاوي لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن
هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد • فان قلت قد
روي بسند حسن عن زيد بن ثابت انها نزلت اذ جاء اعمى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يستاذنه في التخلف فعلم انها نزلت
في حق غير المخلفين في حادثة اخرى • قلت ان صح فالحكم

فيهما واحد لان الحرج مرفوع عن كل الناس لعموم الاية وسبب
النزول لا يكون مخصصا لعموم ما انزل فعلى هذا كان ذكرها ههنا
للمناسبة لا لانها نزلت في حق المخلفين والحرج الاثم يقال مكان
حرج اي ضيق كثير الشجر لا يصل اليه الراعية سمي الاثم به
لان قلب صاحبه ضيق من كثرة الوسواس ودواعي النفس
المحيطة به او لانه يوجب دخول صاحبه في مضيق عذاب جهنم
او لان معيشة صاحبه ضيق قال الله تعالى ومن اعرض عن ذكري
فان له معيشة ضنكا والاعمى الذي ذهب بصره كله والاعرج
الذي اصابه في رجله شي والمعنى ليس على هولاء اثم في التخلف
عن الغزو وحذف لوجود القرينة **ومن يطع الله ورسوله**
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار قال العلامة البيضاوي
فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته
ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال **ومن يتولى**
يعذبه عذابا اليما يعني جبر النقصان الحاصل في جانب الوعيد
من جهة اجماله بتكريره على سبيل التعميم اما تكريره فلان
حاصل مضمون قوله وان تتولوا الى اخره وقوله ومن يتول الى
اخره ليس الا لان المتولي له عذاب اليم الا انه زيد في الثاني
معنى العموم الحاصل من الموصول ولا شك ان التكرير يوجب
التاكيد فالتاكيد الحاصل في جانب الوعيد في مقابلة
التفصيل الواقع جانب الوعد • فان قلت لا مدخل لذكر التعميم
في الجبر لانه مشترك بينهما لوجود الموصول الدال عليه في

جانب الوعد ايضا • قلت انما ذكره لانه لو لم يكن في جانب الوعيد
كان يثبت للوعد مزية اخرى على الوعيد من حيث التعميم فان
لم يحصل الجبر بمجرد التكرير • ولما بين حال المخلفين بعد ذكر
المبايعين اجمالا نقل الكلام الى تفصيل حالهم فقال **لقد رضي**
الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة الظرف الاول متعلق
برضي والثاني بما اضيف اليه الاول ويحتمل ان يكون حالا من ضمير
المفعول اعني كاف الخطاب لان النبي صلى الله عليه وسلم كان
جالسا في اصلها والرضى ههنا بمعنى اظهار النعمة فهو صفة فعل
لا صفة ذات لتقييده بالزمان والبيعة هي بيعة الرضوان
سميت بهذه الاية وقصتها ان النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل
بالحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة
فهموا به اي قصد واقتله فمنعه الاحابيش جمع احبوش وهي
انواع من قبايل شتى فلما رجع دعا عمر رضي الله عنه ليبعثه
فقال اني اخافهم على نفسي لما اعرف من عداوتي اياهم وليس بمكة
احد من بني كعب يغضب لي اذا اوذيت فارسل عثمان بن
عفان فان عشيرته بها وانه يبلغ لك ما اردت فدعى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عثمان فارسله الى قريش فاخبرهم
انا لم نات لقتال وانما جينا عمارا وادعهم الى الاسلام وامره
ان ياتي رجالا بمكة مومنين ونسا مومنات فيدخل عليهم
ويبشرهم بالفتح ويخبرهم ان الله وشك ان يظهر دينه
بمكة حتى لا يستخفي فيها بالايمان فانطلق عثمان الى قريش

فاخبرهم فارتهنه المشركون ودعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى البيعة ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
ان روح القدس قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره
بالبيعة فاخرجوا على اسم الله فبايعوا فثار المسلمون الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت الشجرة فبايعوه على ان
لا يفروا ابدا فرعبهم الله فارسلوا من كانوا ارتهنوا من المسلمين
ودعوا الى الموادعة والصلح • واخرج البيهقي في الدلايل عن
الشعبي قال لما دعى النبي صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة
كان اول من انتهى اليه ابو سنان الاسدي فقال ابسط يدك
ابايعك فقال النبي صلى الله عليه وسلم على ما تبايعني قال
على ما في نفسك • عن سلمة بن الاكوع بينا نحن قايلون اذ
نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس
البيعة البيعة نزل روح القدس فثرنا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه فبايع لعثمن
احدى يديه على الاخرى فقال الناس هنيا لعثمان يطوف
بالبيت ونحن ههنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو مكث كذا وكذا اما طاف حتى اطوف انتهى عن نافع قال بلغ
عمر بن الخطاب ان ناسا ياتون الشجرة التي بويع تحتها فامر بها
فقطعت لعله رضي الله عنه خشي احداث بدعة من غلاة
العوام وكان الناس حديث العهد بالجاهلية والله اعلم • وقيل
كانت الشجرة سدرة في دلايل الاعجاز عن جابر بن عبد الله

قال كنا يوم الحديبية الفا واربعماية فقال لنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم انتم خير اهل الارض • وقيل كانوا الفا وثلثماية
وقيل الفا وخمساية • واخرج احمد وابو داود والترمذي
عن جابر ومسلم عن ام مبشر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة • فان قلت على هذا
فالوجه في تخصيص العشرة بكونهم مبشرين بالجنة قلت
خبر الاحاد لا يفيد العلم بل يفيد الظن والعشرة كونهم مبشرين
مقطوع به بدليل قطعي • واخرج البخاري عن سلمة بن
الاكوع قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة
قيل على اي شي تبايعون يوميذ قال على الموت • عن قتادة
انهم بايعوه على ان لا يفروا ولم يبايعوا على الموت وبين الروايتين
تدافع ظاهر ويمكن التوفيق بينهما بانه ليس المراد بقوله على
الموت ظاهره وهو التزامه بل المراد عدم تجويز الفرار من القتال
لخوف تجويز الموت • فقوله على الموت على سبيل المبالغة
كيف ولا يصح ارادة الظاهر لان النبي صلى الله عليه وسلم
ما كان يريد موتهم بل ارادة تثبيت اقدامهم في معركة القتال
ومراد قتادة نفي ظاهره كما هو المتبادر من كلامه فلا تدافع
واخرج الطبراني عن مالك بن ربيعة السلولي انه شهد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الشجرة ويوم رد الهدي
معكوفا ان يبلغ محله وان رجلا من المشركين قال يا محمد ما
يحملك على ان تدخل هولا علينا ونحن كارهون فقال هولا

خير منك ومن اجدادك يومنون بالله وباليوم الاخر والذي
نفسي بيده لقد رضي الله عنهم واللام في قوله عن المومنين
المعهودين الذين سبق ذكرهم في قوله ان الذين يبايعونك
اقول ويجوز ان تكون للاستغراق فانه لما كانت المبايعة المذكورة
من خلاصة المومنين في اعلا درجات القبول عند الله رضي الله
عنهم وعن ساير المومنين ببركة كرامته لهم • فان قلت يابي
عن هذا الاحتمال قوله اذ يبايعونك لان المبايعة تحت الشجرة
ما صدرت عن الكل • قلت يجوز ان يرجع الضمير الي المومنين
باعتبار ارادة بعضهم بطريق الاستخدام والي الكل تنزيل
ايمة المومنين وسادتهم منزلة كلهم ونظيره كثير في القران
لا يخفي علي المتتبع فكان المبايعة صدرت من الكل فاضيف
الي الكل مجازا والمجاز غير نادر في القران ولا شك ان هذا
المعني ابلغ في المعني المسوق له اعني بيان كرامتهم وقبول عملهم
والله اعلم بمراده **فعلم ما في قلوبهم** من الاخلاص والوفا وغير
ذلك مما يحب الله في قلب عبده المومن عند مبايعة حبيبه
وخير خلقه في امر دينه • عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله
فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم قال انما نزلت
السكينة علي من علم منه الوفا وهذا لا ينافي ما قلنا لان تخصيص شي
هو عمدة في المقام بالذكر لا ينفي وجود ما عداه **فانزل السكينة**
الطمانينة وسكون النفس والامن بسبب الصلح او بسبب
التشجيع **عليهم** اي علي قلوبهم وقيل فعلم ما في قلوبهم من الكابة

بقصد المشركين اياهم وعدم ظهور اثر رويا النبي صلي الله عليه وسلم
وسيجي بيانها ان شا الله تعالي حتي قال النبي صلي الله عليه وسلم
انما ذلك رويا منام • وقال الصديق لم يكن فيها الدخول
في العام وانما في قوله فانزل يدل علي ان الانزال مسبب
عن العلم بما في قلوبهم فعلي هذا يجب علي كل خايف ان يحسن
ما في قلبه لينزل عليه السكينة وانما رتب انزال السكينة
علي علمه بما في قلوبهم دون المبايعة اشارة الي ما ورد في
الحديث من قوله صلي الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات
الحديث وان الله لا ينظر الي صوركم واعمالكم ولكن ينظر الي
قلوبكم الحديث • فان قلت صفات الله تعالي اعني الذاتية
قديمة والعلم منها والفا التعقيبية في قوله فعلم يدل علي
تحققه بعد المبايعة • قلت علم الله تعالي قديم بذاته
ولكن تعلقاته حادثة والتعقيب ههنا باعتبار التعلق
لا باعتبار الذات ولا شك ان تعلق العلم بما في قلوبهم من
الاخلاص وغيره بعد تحقق المعلوم اعني ما في القلوب
فان قلت اذا كان تعلق علم الله بالمعلومات بعد تحققها لزم
عدم التعلق قبل وجودها واذا لم يتعلق العلم بها لزم الجهل
قلت للعلم تعلقان تعلق قبل وجود المعلوم وهو لازم ذات
العلم فكان قديما وتعلق بعد وجود المعلوم فهو حادث
اما التعلق الاول فهو عبارة عن الاحاطة بالمعلوم من
حيث انه سيوجد في الوقت الذي خصصته الارادة الازلية

واما التعلق الثاني فهو عبارة عن الاحاطة به من حيث انه قد
تحقق ودخل في الوجود ثم اعلم ان تعلق العلم نسبة بين العلم
والمعلوم والتعدد فيها انما نشا من جانب المعلوم لكثرة
المعلومات واما باعتبار ذات العلم فلا يتصور التعدد لانه
واحد بالشخص كما بين في موضعه والله اعلم • فان قلت
لا يحسن عطف الماضي على المضارع فكيف عطف قوله فعلم على
يبايعونك • قلت الا لنكتة وهي ههنا للاشارة الى تقدم
العلم باعتبار ذاته وتعلقه الاول مع قطع النظر عن التعلق
الثاني بالمبايعة ويحتمل ان يكون قوله تعالى فعلم معطوفا على
قوله رضي والفا حينئذ كما في قوله ونادى نوح ربه فقال
وذلك لان مدخول الفا وما بعده بيان للرضى الذي هو اظهار
النعمة على ما مر واثابهم في القاموس اثابه الله مثوبة
اعطاه اياه والمثوبة الجزا كالثواب والمعنى واثابهم الله على
علمهم هذا فتحا قريبا فتح خيبر عقب انصرافهم وقيل
مكة او هجر ومغانم كثيرة جمع مغنم وهو الذي يوخذ من الكفار
قهرا قال العلامة البيضاوي يعني مغانم خيبر وكان عقارا
وما لا فقسمها نبي الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه ياخذونها
وانما صرح بالاخذ مع عدم الاحتياج الى ذكره لكونه معتبرا
في مفهوم الغنيمة لمزيد الاهتمام بشانه لانه من جملة ما يختص
به امة محمد صلى الله عليه وسلم فان المغنم في الامم الماضية
كان يجمع ويحرق وما كان ياخذ العسكر وكان الله عزيزا

حكيما

حكيما غالبا على امره مراعيا مقتضى الحكمة كورود كون العزة والحكمة
في هذه السورة كثيرا تنبيها على ما هو العمدة في الدلالة على
انجاز الوعد من الفتح والنصر وعلى ان التدريج في امر الفتح
والنصر انما هو لحكمة بالغة تسلية للمومنين وعدكم الله مغانم
كثيرة تاخذونها قال العلامة الزمخشري وهي ما يفي على المومنين
الى يوم القيمة • واخرج ابن جرير عن مجاهد قال المغانم الكثيرة
التي وعدوا ما ياخذون حتى اليوم فعجل لكم هذه يعني مغانم
خيبر يقال عجله له اي اسرعه اليه قال في القاموس العجل
والعجل محركتين السرعة ولهذا يسمى ضد الاجل عاجلا وكف
ايدي الناس عنكم عن ابن عباس رضي الله عنهما يعني اهل مكة
بالصلح • وعن ابن جريج قال الحليفان اسد وغطفان عليهم
عيينة بن حصين معه مالك بن عوف واهل خيبر على بيد
معونة فالقى الله في قلوبهم الرعب فانهزموا ولم يلقوا
النبي صلى الله عليه وسلم والكف المنع ولتكون هذه الكفة
او الغنيمة اية للمومنين امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان
وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم • وقيل رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتح مكة في المنام ورويا الانبيا وحي
فتاخر ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة لصدق
رؤياه وقيل امارة لصدق الرسول صلى الله عليه وسلم في
وعدهم فتح خيبر حين رجوعه عن الحديبية او وعد المغانم
والمعنى الاول هو الاظهر لانه يفهم من نفس العبارة مع قطع

النظر عن القرائن الخارجة قال العلامة البيضاوي والعطف
على محذوف هو علة لكف او عجل مثل لتسلموا ولتاخذوا او العلة
لمحذوف مثل فعل ذلك انتهي • نظير الاول قوله تعالى ولتكملوا
العدة اي ليسهل عليكم ولتكملوا ونظير الثاني قوله تعالى
ولاتم نعمتي عليكم اي واخترتكم لاتمامي النعمة عليكم **ويهديكم
صراطا مستقيما** قال العلامة البيضاوي هو الثقة بفضل الله
والتوكل عليه وقيل اي يزيدكم هدي او يثبتكم على الهداية
اقول وهذا هو الاظهر نظرا الي ما سبق من ان كثيرا من المومنين
قد اضطربوا عند صدهم عن المسجد الحرام وصدهم هديهم ان
يبلغ محله ورد بعض المسلمين الي الكفرة بموجب الصلح وعدم
ظهور رويا النبي صلى الله عليه وسلم في تلك السنة وما اشبه
ذلك حتى انكر بعضهم الفتح قال كما قال وزلزلوا كما قال
الله تعالى حكاية عن الامم الماضية مستهم الباساء والضراء
وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله
فلما ضاقت صدورهم وكادت تزل اقدامهم ثبتهم الله على
الهداية بانزال السكينة واثابة الفتح القريب والمغانم
الكثيرة ووعد اياهم مغانم كثيرة وكف ايدي الناس عنهم
واخرى قال العلامة البيضاوي ومغانم اخرى معطوفة على
هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضي
ويحتمل رفعها على الابتدا لانها موصوفة وخبرها باضمار رب
انتهي الاحتمال الاول بعيد من حيث اللفظ والمعنى اما من

حيث اللفظ فللفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجمل اجنبية
لان قوله وكف ايدي الناس عنكم معطوف على وعدكم الله وقد
عرفت حال الاخيرتين • فان قلت بل على عجل • قلت
لا يجوز لانه في حيز البيان لما اجمل في قوله وعدكم الله مغانم كثيرة
والكف لا يصلح بيانا له على انه لو عطف على عجل لم يندفع المحذور
ايضا لان المعطوف على العامل اجنبي بين معموله وبين ما عطف
عليه واما من حيث المعنى فلان المعجل ضد المؤجل والظاهر
ان المراد بقوله واخرى مؤجل على ما يجي بيانه فكيف يعطف
على معمول عجل وعلى الاحتمال الثاني قوله قد احاط الله بها
اما صفة بعد صفة لاخرى او حال من ضمير عليها في قوله
لم تقدروا عليها وعلى الاحتمال الثالث فالخبر قوله قد احاط
الله بها وعلى الرابع لم تقدروا صفة وقد احاط متعلق رب
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال المراد هذه الفتوح التي تفتح
اليوم **لم تقدروا عليها** بعد لعدم تحقق استعدادها وكونها
مرهونة بوقتها وقيل المعنى لم تقدروا على علم وقتها **قد
احاط الله بها** قال العلامة البيضاوي استولى فاظفركم
بها وهي مغانم هوازن وفارس انتهي فكانه من باب ذكر الملزوم
وارادة اللازم لان المحيط بالشي يكون مستوليا عليه غالبا
خصوصا اذا اضيف الاحاطة الي من له الاستيلاء على كل ممكن
ومقدور • واخرج ابن عساكر عن علي وابن عباس رضي الله
عنهم قالا قد احاط الله بها قضى الله بها انها لكم فان كل

ما هو مقتضي فهو محاط لا محالة كاين • وعن الزبير بن العوام لما
قدم البصرة دخل بيت المال فاذا هو بصفرا وبيضا فقال
يقول الله عز وجل وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل
لكم هذه واخرى لم تقدروا عليها • وقال مجاهد هي ما يكون
الى يوم القيمة • وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى هي فارس والروم
وقيل فتح فارس وعن قتادة انها مكة وقيل غير ذلك
وكان الله على كل شي قديرا ان اريد بالشي ما هو اعم من الوجود
الخارجي فالممتنعات خارجة عنه استثنا عقليا ولا يلزم
نقص في القدرة اذ هي صفة توثر في المقدور وهي ليست
بمقدورة فالنقصان في جهتها من عدم قابليتها للوجود
وان اريد به الموجود الخارجي كما هو مذهب المتكلمين اذ
المعدوم عندهم ليس بشي فلا حاجة الى الاستثنا قال
العلامة البيضاوي لان قدرته ذاتية لا تختص بشي دون
شي والمراد بكونها ذاتية كون الذات علة لها من غير
مدخلية الغير بخلاف القدرة الحادثة فانها ناشية
من غير ذات من اتصف بها • فان قلت كونها ذاتية
بالمعنى المذكور لا يستلزم احاطتها بكل شي والمفهوم من
كلامه ان عدم اختصاصها بشي دون شي متفرع عليه
قلت نعم يتفرع لان ذات الواجب تعالى في اعلى مراتب
الكمال من كل وجه ومن جملة وجوه الكمال قدرته الكاملة
فيجب ان يكون على اعلى المراتب وهو بان تكون محيطة بجميع

المقدورات ومضمون هذا الكلام كمضمون قوله ولله جنود
السموات والارض فهو كالدليل على ما ذكر قبله مما يتفرع
على قدرته الباهرة ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة
ولم يصالحوا لولوا الادبار اي لانهزموا لان المنهزم يجعل
دبره الى وجه العدو عند الفرار • في القاموس ولى تولية
ادبر فذكر التولية يغني عن ذكر الادبار بل في ذكره يلزم
التكرار الا ان يقال ان المراد من التولية التحويل المجرد عن قيد
الدبر مجازا وفايدة التجريد عنه ثم ذكره صريحا التصريح
بما هو محط التشنيع وتحويل الدبر اسوا احوال التجبين وافضح
اوضاع من نزل به امر فظيع ثم لا يجدون اي المنهزمون
وليا والولي له معان القريب والمحب والصديق والنصير
فيحتمل كلا منها الا الاخير لانه مذكور بعده والمعنى ثم
لا يجدون وليا يحرسهم عن المومنين ولا نصيرا ينصرهم
وكلمة ثم للدلالة على انهم لا يجدون الولي والنصير ولو مضى
عليهم زمان يمكن ان يحضر فيه الاصحاب من الاماكن البعيدة
او لبيان التفاوت في مراتب التنزل بين الانهزام
وبين عدم وجدان الولي والنصير فان الحالة الثانية
انزل من الاولى بمراتب والمقصود من الشرطية المذكورة
لا يجوز ان يكون دفع توهم ناشي من قضية الصلح على الوجه
المعروف وهو غلبة الكفار على تقدير المقاتلة • فان قلت
اذا كان المقدر في علم الله تعالى غلبة المومنين على تقدير

العناد فلم يوجد وابه • اقول الحكم بالغة احاط بها علمه القديم
علي ان المناد من ظاهر الاية انهم لوا بتدوا بالمقاتلة لانهزموا
ولا يلزم من هذا انهزامهم علي تقدير ان يبتدا المومنون
لما نظيرها قلنا ما روي ان المشركين نزلوا باحد فاستشار
رسول الله صلي الله عليه وسلم اصحابه وقد دعي عبد الله بن
ابي ولم يدعه قبله وقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول
الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الي عدو
الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف
وانت فينا هذا وقد جرت العادة الالهية بان يكون
حصول المطالب العالية بالتدريج ليزداد الطالب سعيا
واجتهادا وينال به الدرجات العلي اما تري ان السالكين
في طريق الحق كم يجتهدون مع ان الله تعالي قادر علي ان يوصلهم
الي المقصد من غير تعب وانتظار سنة الله التي قد خلت
اي مضت وجرت من قبل اي من قبل ان يبعثك فيمن مضي
من الامم السالفة كما قال تعالي كتب الله لاغلبن انا ورسلي
في القاموس السنة بالضم السيرة والطبيعة ومن الله حكمه
وامره ونهيه وهو منصوب علي المصدرية كسبحان الله
واصله سن الله سنة حذف الفعل واضيف المصدر الي
الفاعل وفي اضافته الي ذاته القديمة اشارة الي عدم
تبدله كما يدل عليه قوله ولن تجد لسنة الله تبديلا
والتبديل التغيير وهذا مع ما قبله تعليل علي مضمون السابق

عند مقاتلة الكفار تقريرا لغلبة المومنين

وهو غلبة المومنين علي الكافرين عند مقاتلتهم وانها كاينة
لا محالة لانها سنة الله ولا تبديل لسنة الله وهو الذي
كف ايديهم اي كفار مكة عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة
في داخل مكة بعد ان اظفركم عليهم اي اظهركم عليهم
واخرج احمد والنسايي والحاكم وصححه عن عبد الله بن مغفل
قال كنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في اصل الشجرة
التي قال الله تعالي في القران وكان يقع من اغصان تلك الشجرة
علي ظهر رسول الله صلي الله عليه وسلم وعلي بن ابي طالب وسهيل
ابن عمرو بين يديه وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم
لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فاخذ سهيل بيده فقال
ما نعرف الرحمن ولا الرحيم اكتب في قضيتنا ما نعرف
قال اكتب باسمك اللهم وكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول
الله اهل مكة فامسك بيده وقال لقد ظلمناك ان كنت
رسوله اكتب في قضيتنا ما نعرف فقال اكتب هذا ما صالح
عليه محمد بن عبد الله فبينا نحن كذلك اذ خرج ثلاثون
شابا عليهم السلاح فثاروا الي وجوهنا فدعي عليهم رسول
الله صلي الله عليه وسلم فاخذ الله باسماعهم ولفظ الحاكم
بابصارهم فاخذناهم فقال رسول الله صلي الله عليه
وسلم هل جيتم في عهد احد وهل جعل لكم احد امانا
فقالوا لا فخلي سبيلهم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم
عنكم • وروي ان عكرمة بن ابي جهل قد خرج في خمسماية الي

الحديبية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد
هذا ابن عمك قد اتاك في الخيل فقال خالد انا سيف الله
وسيف رسوله فيومئذ سمي سيف الله يا رسول الله
ارم بي اين شئت فبعثه على خيل فلقيه عكرمة فهزمه
حتى ادخله حيطان مكة ثم عاد في الثانية فهزمه حتى
ادخله حيطان مكة ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى ادخله
حيطان مكة فانزل وهو الذي كف ايديهم عنكم الاية
فكف الله النبي بعد ان اظهره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا
بقوا فيها كراهة ان يطاهم الخيل • قال الشيخ معين الدين
وما ذكر ان ابي جهل خرج في عسكر يوم الحديبية الى اخره
ففيه شي كيف وخالد بن الوليد لم يكن اسلم بل كان طليعة
للمشركين يومئذ على ما رواه البخاري في حديثه الطويل
قال العلامة البيضاوي وقيل كان ذلك يوم الفتح
واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ
السورة نزلت قبله انتهى • ولك ان تقول ان نزول السورة
قبل فتح مكة لا يقتضي عدم جواز حمل الاية على المعنى
المذكور اذ يجوز ان يكون الاية من قبيل الاخبار عن الشي
قبل تحققه والتعبير عنه بصيغة الماضي كالتعبير عن
فتح مكة بانا فتحنا على اختيار بعض المفسرين فتامل
ولعل المقصود من ذكر هذا الكلام في هذا المقام تاكيد
ما يستفاد من سياق الكلام من اول السورة الى اخرها

لاستقلاله عز وجل في كل ما يقع في الكون عاجلا واجلا
من الفتح والنصر وانزال السكينة والثواب والعقاب وغير
ذلك وانه حكيم يمنع ايديهم تارة عنكم لنصرة دينه وايديكم
عنهم اخرى لمصلحة تقتضي ذلك **وكان الله بما تعملون بصيرا**
في القاموس البصير المبصر والعالم وكل منهما يحتمل ان يراد
هنا لان من صفاته البصر والعلم لكن العلم اشمل لاحاطته
المحسوسات والمعقولات والمعنى بصيرا بما تعملون من
مقاتلتكم او لطاعة رسوله وكفكم ثانيا للتعظيم بيته
فيجازيكم عليه **هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام**
والهدي معكوفا ان يبلغ محله استيناف لبيان ان كف
ايدي المومنين عن كفار مكة بعد ان اظفرهم عليكم لم يكن
لعدم استحقاقهم ان يعذبهم الله بايديهم ويخزيهم
وينصرهم عليهم لانهم الذين جمعوا بين الكفر وهتك حرمة
بيت الله الحرام بصد خير من احرم اليه في خير امة
اخرجت للناس وصد الهدي معكوفا ان يبلغ محله كقوله
وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام
وما كانوا اولياءه الاية ولكن كان لرعاية جمع من المومنين
والمومنات من اهل مكة بقوا بين المشركين لكونهم مستضعفين
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا الى لقاهم
الغزاة بغير علم فتصيبهم معرة من جهتهم كما يدل عليه
قوله ولولا رجال الاية والصد المنع والمسجد معروف

والمعقل من باب نصر اسما كان او مصدرا عجب فتح عينهما الا
احرفا ذكرها في القاموس ومن جملتها المسجد والمطلع والمشرق
الزموها كسر العين والفتح جايز وان لم يسمع والحرام المحرم
اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه
وعن عبد الله بن عمر بن العاص قال اساس المسجد الحرام
الذي وضعه ابراهيم من الحزورة اي مخرج سيل جياد الي
المسعي • وعن عطا بن ابي رباح المسجد الحرام الحرم كله
ذكره الازرقي قال الامام الرازي عن ابن عباس الحرم كله
مسجد وهذا قول الاكثرين انتهي • والهدي بالتخفيف
والتشديد ما يهدي الي مكة والعكف الحبس ومحل الهدي
المكان الذي يحل فيه نحره ويجوز ان يكون الهدي معطوفا
علي الضمير المنصوب في صدوكم او علي المسجد الحرام وقري
بالتخفيف والتشديد منصوبا ومجرورا ومرفوعا بتقدير
وصد الهدي والمعني علي الاول هم الذين كفروا بالله
ورسوله ومنعوكم عن دخول المسجد الحرام ومنعوا هديكم
عنه محبوسا عن ان يبلغ محله ومكانه الذي يجب ان
ينحر فيه وعلي الثاني ومنعوكم عن بلوغ هديكم محله حال
كونه محبوسا وعلي الثالث ان جملة وصد الهدي حال
بتقدير قد عن مفعول صدوكم اي منعوكم حال كون هديكم
ممنوعا عن دخول المسجد الحرام محبوسا ان يبلغ محله وفي
توصيف الكفار بما يوجب توبيخهم لهتك حرمة البيت

مع انهم ما كانوا يعتقدون جوازه وانما حملهم الانفة و
حمية الجاهلية الي ان يفعلوا ما لا يعتقد وفيه اشعار
علة اخري لكف ايدي المومنين عنهم وهي رعاية ادب بيت
الله الحرام بترك المقاتلة ولاسيما حال كونهم محرمين فان
الكافر اذا اقدم علي عمل لكونه خالف معتقده نهي منه
المومن المعتقد حرمة ذلك بالطريق الاولي • فان قلت
ما النكتة في تعريف المسند اليه والمسند بالاضمار
والموصولية • قلت اما الاضمار فهو مقتضي الظاهر لسبق
ذكر المرجع وهو كفار مكة واما الموصولية فللاشارة الي
احاطة علم المخاطبين بكونهم مستحقين العقوبة لكونهم
موصوفين بالكفر والصد فلا ينبغي لاحد من المومنين ان
يتوهم ان كف ايديهم عنهم وتاخير امرهم لمصلحة لهم بل
لما يدل عليه قوله ولولا رجال الاية قال العلامة الزمخشري
وهذا دليل لابي حنيفة علي ان المحصر محل هديه الحرم
وقال العلامة البيضاوي المراد مكانه المعهود وهو مني
لا مكانه الذي لا يجوز ان ينحر في غيره والا لما نحره الرسول
صلي الله عليه وسلم حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية
علي ان مذبح هدي المحصر هو الحرم انتهي • وانت خبير
بان استدلالهم مبني علي محافظة ظاهر الاية لان الظاهر
من اضافة المحل الي الهدي ان يكون نسبته اليه علي وجه
الاختصاص بحيث لا يجوز نحره في غيره مع ان السياق

لبيان ظلم الكفار والظلم انما يتحقق بالصد عن البلوغ الى محله
الجواز مطلقا لا عن البلوغ الى جزء مخصوص من ذلك المحل
وان كان ذلك الجزء مما يجهد فيه النحر لان الواجب يودى في
غيره • فان قلت المنع عن المكان المعهود ايضا حرام
فيكون ظلما • قلت حرمته دون حرمة المنع عن محل الجواز
مطلقا والمقام يستدعي المبالغة في الظلم لان الصد معطوف
على الكفر • فان قلت اذا كان المراد من المحل المكان الذي
لا يجوز ان ينحر في غيره وهو الحرم ومحل هدي المحصر هو الحرم
لزم عدم بلوغ هدي النبي صلى الله عليه وسلم مذبح هدي
المحصر وقد كان محصرا فكيف حل عن احرام عمرته • قلت
الاية تدل على انهم منعوا عن ان يبلغ الهدي محله ولا تدل
على ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه امتنعوا بمنعهم مستمرين
على الامتناع وما نحروا في الحل بل نحروا فيه كما بين العلامة
الزمخشري من ان الحديبية بعضها من الحرم وبعضها من
الحل • وروي ان مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانت في الحل ومصلاه في الحرم وههنا بحث وهو ان الاية
لا تدل الا على انه تحقق من الكفرة ظلمان عظيمان صد
المحرمين عن المسجد الحرام وصد الهدي عن البلوغ الى محله
وعظم الظلم في الثاني انما يتاتى على تقدير المنع عن بلوغ
الهدي محله الذي لا يجوز ان ينحر في غيره فنعلم انه كما كان يجب
عليهم اداء نسكهم في المسجد الحرام كان يجب عليهم تبليغ هديهم

الى الحرم قبل تحقق الاحصار والكفار منعوهم عنهما جميعا
واما بعد تحقق الاحصار فهل بقي وجوب تبليغ الهدي على
ما كان ام لا فهو مسكوت عنه ولا دلالة للنص المذكور
عليه لا يقال الاصل بقاء ما كان على ما كان لان الاستصحاب
ضعيف لا يصلح لمعارضة الخصم على انه سقط وجوب
اداء النسك في الحرم لعذر الاحصار فالظاهر سقوط ما يماثله
في الوجوب للعذر المذكور وايضا مقصود المستدل اثبات
المدعى بالنص لا بمسئلة الاستصحاب والله اعلم •
وللحنفية ادلة اخرى مذكورة في كتبهم وليراجع اليها
قال صاحب الهداية وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم
احصر في الحديبية وبعث الهدي على يد ناجية قال له
لا تاكل انت ورفقتك منها شيا انتهى • وقال الشيخ الامام
كمال الدين بن الهمام في شرح الهداية روى اصحاب
السنن الاربعة عن ناجية الخزاعي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث معه بهدي وقال ان عطب فانحره ثم
اصبغ نعله في دمه ثم خل بينه وبين الناس قال الترمذي
حديث حسن صحيح وليس فيه لا تاكل انت ورفقتك
ثم قال واسند الواقدي القصة بطولها وفيها فلا تاكل
انت ولا احد من رفقتك منها شيا **ولولا رجال
مومنون ونساء مومنات** لولا كلمة بنفسها عند البصريين
والاسم المرفوع بعدها مبتدا خبره محذوف وجوبا اذا

كان من الانفعال العامة لانه الزم في موضعه جواب
لولا مع وجود القرينة الدالة عليه وهي لفظة لولا اذ هي
موضوعة لانتفا الثاني وهو مضمون الجواب لوجود الاول
وهو مضمون دخول لولا فالوجود على سبيل الفرض معتبر
في مدخولها لاقتضاها اياه فلا حاجة الى ذكره وليست
لو الداخلة على لا لان الفعل بعد لو اذا اضمر وجوبا
فلابد من الاتيان بمفسر • وقال الكسائي الاسم بعدها
فاعل لفعل مقدر فمعنى لولا رجال لو لم يوجد رجال يعني
المستضعفين من المومنين بمكة بين الكفار كسلمة بن هشام
وعياش بن ابي ربيعة وابي جندل بن سهيل واشباههم
وعن ابي جمعه انه قال قاتلت النبي صلى الله عليه وسلم
اول النهار كافرا وقاتلت معه اخر النهار مسلما وفينا نزلت
ولولا رجال مومنون ونسا مومنات وكنا تسعة نفر
سبعة رجال وامراتين انتهى • وصيغة الجمع في النسا نابي
عن ذلك الا ان تحمل على ما فوق الواحد مجازا وفيه ما فيه
لم تعلموهم اي لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين
والجملة صفة الرجال والنسا جميعا ان تطؤوهم اي
توقعوا بهم وتبيدوهم قال العلامة الزمخشري والوطء
والدوس عبارة عن الايقاع والاباده يقال اوقع بهم
اي بالغ في قتالهم والابادة الاذهاب والاهلاك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخر وطاة وطاها الله بوج

ودج

ودج اسم واد بالطايف • وقال العلامة البيضاوي وهو
بدل الاشتمال من رجال ونسا او من ضميرهم في تعلموهم انتهى
وقوله او من ضميرهم يحتمل ان يقرا بضم الها وكسرها وقد
ذكرنا غير مرة ان المتبوع في بدل الاشتمال يكون دالا
على التابع اجمالا ومتقاضيا له بوجه ما ودلالة الرجال
والنسا على الوطي بقرينة السياق لانهم ذكروا في حيز لولا
اعلاما بان وجودهم هو السبب لكف ايدي المومنين عن
الكفار ولا يصلح للسببية الا مخافة وطيهم وكذا اذا
كان بدلا عن الضمير المذكور لان ضرر عدم العلم بهم باعتبار
الوطي • فان قلت اذا كان بدلا من الرجال والنسا نصير
المعنى ولولا وجود وطيهم لكان كذا والوطو ما كان موجودا
يوميذ وكلمة لولا تقتضي وجوده • قلت المراد وجوده
على لا عينا فتصيبكم خطاب للمومنين منهم من جهتهم
من المستضعفين معرة قال العلامة البيضاوي مكروه
كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير
الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة
من عره اذا عراه ما يكرهه انتهى • في الهداية اذا التقي
الصفان من المسلمين والمشركين فقتل مسلم مسلما ظن انه
مشرك فلا قود عليه وعليه الكفارة لان هذا احد نوعي
الخطا ولما اختلف سيوف المسلمين على اليمان بن ابي حذيفة
رضي الله عنهما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية

قالوا انما يجب الدية اذا كانوا مختلطين فان كان في صف
المشركين لا يجب لسقوط عصمته بتكثير سوادهم قال عليه
السلام من كثر سواد قوم فهو منهم انتهي • اقول ويدل عليه
قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا
فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا الاية ومحل الاية مدلول
قوله تعالى الا المستضعفين من الرجال والنسا والولدان
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله
ان يعفو عنهم وكان الله غفورا رحيما **بغير علم** قال
العلامة البيضاوي متعلق بان تطؤوهم اي تطؤوهم
غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه
والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا ناسا مومنين بين اظهر الكافرين
جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم
انتهي • اقول يتجه عليه انه اذا كان بغير علم متعلقا بان
تطؤوهم وهو بدل اشتمال من ضمير لم تعلموهم على ما سبق
يلزم في الكلام تكرار لانه يصير المعنى حينئذ لم تعلموا
وطاهم بغير علم • فان قلت العلم الاول متعلق بوطيهم
والثاني بانفسهم كانه قال لم تعلموا وطاهم غير عالمين بهم
قلت ليس المراد من نفي العلم بوطيهم عدم تعلق العلم بذات
الوطي من حيث هي بل من حيث الاضافة اليهم من حيث
كونهم مومنين لا من حيث ذاتهم من غير ملاحظة وصف

الايمان فذلك قوله لم تعلموهم ان تطؤوهم على عدم العلم بهم من
حيث كونهم مومنين • ولا شك ان المراد من قوله بغير علم
عدم العلم بهم من حيث انهم مومنين فيلزم التكرار فالوجه
ان يكون قوله ان تطؤوهم بدل اشتمال من الرجال والنسا
لا غير الا ان يتعلق بغير علم بغيره • فان قلت وهل يجوز
ان يتعلق بغيره • قلت نعم يجوز الا ان يكون حالا من مفعول
فتصيبكم والمعنى فيصيبكم منهم مكروه حال كونكم غير عالمين
بما يوجبه لعدم تعمدكم اهلاك المومنين ولا شك ان
المصيبة التي تصيب الانسان على غفلة لعدم تعمده ما
يوجبها اشد واصعب وهذا التوجيه اقرب من حيث اللفظ
لقرب المتعلق وابلغ من حيث المعنى لما اشير اليه وفي
قوله بغير علم اشعار الى فضيلة الصحابة وعفتهم عن المعصية
وعصمتهم عن التعدي حتى انهم لو اصابوا من ذلك احدا
لكان عن غير قصد وهذا كما وصفت النملة جند سليمان
عليه السلام في قولها لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم
لا يشعرون **ليدخل الله في رحمته من يشا** قال العلامة
الزمخشري • فان قلت تعليل لماذا • قلت لما دلت عليه
الاية وسيقت له من كف ايدي المومنين عن اهل مكة
والمنع من قتلهم صونا لما بين اظهرهم من المومنين كانه قال
كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته اي في
توفيقه لزيادة الخير والطاعة مومنيهم او ليدخل في

دار الاسلام من رغب فيه من مشركيهم • اقول ويحتمل ان يراد
ما هو اعم من كل واحد من المعنيين لعموم الرحمة وسعته
ويوبده ذكر كلمة من وهي من الالفاظ العامة وقد علق به
المشية التي لا تتقيد بالاسباب والعلل يفعل الله ما يشا
ويحكم ما يريد وقد سبقت رحمته غضبه وقد دخل خلق
عظيم في الاسلام بتاخير العذاب عنهم فاخراجهم من المعاني
المذكورة لا يليق بحكمته البالغة والله اعلم لو تزيلوا
لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما قال العلامة البيضاوي
لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض انتهى اي تميز المومنون عن
الكافرين وقرئ لو تزايلوا والتزايل التباين • روي عن علي
رضي الله عنه انه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن هذه الاية لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا قال هم
المشركون من اجداد نبي الله ومن كان بعدهم وفي عصرهم
كان في اصلابهم قوم مومنون فلو تزيل المومنون عن اصلاب
الكافرين لعذب الله تعالى الكافرين عذابا اليما • قال ابن
العربي فقد قال جماعة ان معناه لو تزيلوا عن بطون النسا
واصلاب الرجال وهذا ضعيف لان من في الصلب او في
البطن لا يوطا ولا يصيب منه معرة وهو سبحانه قد صرح
فقال ولولا رجال الاية وذلك لا ينطلق على ما في البطن
او الصلب انتهى • قلت لما دل قوله تعالى ولولا رجال
الاية على امتزاج جمع من المومنين مع طايفة من الكافرين

فهم

فهم في ضمنه امتزاج المومنين مع الكافرين مطلقا انفهام المطلق
في ضمن المقيد فيجوز ان يرجع ضمير لو تزيلوا الى المومنين
ضمنا ومن جملتهم المومنون في اصلاب الكافرين على ما ذكر
في الحديث المذكور وقيل هذه الاية دليل على مراعاة الكافر
في حرمة المومن اذ لا يمكن اذاية الكافر الا باذاية المومن
قال ابو زيد قلت لابن القاسم ارايت لو ان قوما من المشركين
في حصن من حصونهم حصرهم اهل الاسلام وفيهم قوم من
المسلمين اسارى في ايديهم ايحرق هذا الحصن ام لا قال
سمعت مالكا وقد سيل عن قوم من المشركين في مراكبهم ايرمى
بالنار ومعهم الاسارى في مراكبهم قال فقال مالك لا ارى
ذلك لقوله تعالى لاهل مكة لو تزيلوا الاية وكذلك لو تترس
كافر بمسلم لم يجز رميه وان فعل ذلك فاعل فاتلف احدا
من المومنين فعليه الدية والكفارة فان لم يعلموا فلا دية
وذلك انهم اذا علموا فليس لهم ان يرموا فاذا فعلوه صار
قتله خطا والدية على عواقلهم فان لم يعلموا فلهم ان
يرموا واذا ابيح الفعل لا يلزم عليهم شي • قال مالك وقد
حاصرنا مدينة في الروم فحبس عنهم الما فكانوا ينزلون
الاسارى يستقون لهم الما فلا يقدر احد على رميهم بالنبل
فيحصل لهم الما بغير اختيارنا وقد جوز ابو حنيفة واصحابه
رضي الله عنهم الرمي في حصون المشركين وان كان فيهم اسارى
المسلمين واطفالهم • ولو تترس كافر بولد مسلم رمي المشرك

وان اصيب احد من المسلمين فلا دية ولا كفارة وقال الثوري فيه الكفارة ولا دية وقال الشافعي بقول مالك وهذا لان التوصل بالمحظور الى المباح لا يجوز سيما بروح المسلم لكنه قد يجوز قتل الترس ولا يكون فيه اختلاف اذا كان فيه مصلحة ضرورية كلية قطعية فمعنى كونها ضرورية انها لا تحصل الوصول الى الكفار الا بقتل الترس ومعنى انها كلية انها لكل الامة حتى تحصل بقتل الترس مصلحة كل المسلمين فانهم لم يفعل قتل الكفار الترس واستولوا على الامة ومعنى كونها قطعية ان تلك المصلحة حاصلة من قتل الترس قطعا قال الشيخ الامام كمال الدين بن الهمام في شرح الهداية ولا باس برميهم وان كان فيهم اسير مسلم او تاجر • ولو تترسوا باسارى المسلمين وصبيانهم سواء علموا انهم ان كفوا عن رميهم انهزم المسلمون او لم يعلموا ذلك الا انه لم يقصد برميهم الا الكفار فان اصيب احد من المسلمين فلا دية ولا كفارة وعند الائمة الثلاثة لا يجوز رميهم في صورة الترس الا اذا كان في الكف عن رميهم في هذه الحالة انهزام المسلمين وهو قول حسن بن زياد فان رموا واصيب احد من المسلمين فعند الحسن بن زياد فيه الدية والكفارة وعند الشافعي فيه الكفارة قولا واحدا وفي الدية قولان • وقال ابو اسحق ان قصده بعينه لزم الدية علمه مسلما او لم يعلمه لقوله عليه السلام ليس في الاسلام دم مفرج وان لم يقصده

بعينه

بعينه بل رمى الى الصف فاصيب فلا دية عليه • اما الاول فلان الاقدام على قتل المسلم حرام وترك قتل الكافر جائز الا ترى ان للامام ان لا يقتل الاسارى لمنفعة الاسلام فكان تركه لعدم قتل المسلم اولى لان مفسدة قتل المسلم فوق مصلحة قتل الكافر وجه الاطلاق امران • الاول انا امرنا بقتالهم مطلقا ولو اعتبر هذا المعنى انسد بابه لان حصنا ما ومدينة قلما يخلو عن اسير مسلم فلزم من افتراض القتال مع الواقع من عدم خلو مدينة او حصن عادة عنه اهدار اعتبار وجوده فيه وصار كرميهم مع العلم بوجود اولادهم ونسائهم فانه يجوز اجماعا مع العلم بوجود من لا يحل قتله منهم بخلاف ما اذا لم يفترض وهو ما اذا فتحت البلدة فا محمدا اذا فتح الامام بلدة ومعلوم ان فيها مسلما او ذميا لا يحل قتل احد منهم • الثاني ان فيه دفع الضرر العام بالذب عن بيضة الاسلام باثبات الضرر الخاص وهو واجب انتهى • ولا يخفى عليك ان الوجه الثاني لا يتم الا فيما كان فيه دفع الضرر العام والمدعى اعم من ذلك ودعوى ان كل قتال مع الكفار دفع للضرر العام محل تامل • فان قلت الاية حجة على الحنفية • قلت لا نسلم لان المعرة مجمل يحتمل ان يراد به ماسوى الكفارة والدية من التاسف وتعيير المشركين وغير ذلك مما سبق • وقيل اللام في قوله تعالى لعذبنا الذين كفروا جواب لكلامين احدهما لولا رجال

والثاني لو تزيلوا وقيل جواب لولا محذوف لدلالة الكلام
السابق عليه والعذاب الاليم هو القتل والاسر وضمير منهم
راجع الي مجموع المخاطبين من الكفرة والمسلمين كضمير لو تزيلوا
اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية قال العلامة البيضاوي
مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم انتهي اقول الثالث
ابعد من الثاني اما بعدهما فلانه لو كان متعلق بصدوكم
او بعذبنا لكان ينبغي ان يقال اذ جعلوا بالضمير بدل الذين
كفروا لذكره قبل صدوكم وبعد عذبنا لانه لا يظهر نكتة
لاظهار موضع الاضمار حينئذ واما كون الثالث ابعد فلبعد
المتعلق عن المتعلق في اللفظ علي ان تفخيم شان الحمية يناسبه
الاستيناف المصدر باذكر بحيث يقتضيه كما لا يخفي علي
الذوق السليم والحمية فعلية تقول حميت عن كذا حمية
بالتشديد اذا انفت وداخلك عار وانفة ان تفعله
والانفة الاستنكاف قال الزهري حميتهم انفتهم من الاقرار
للنبي صلي الله عليه وسلم بالرسالة والاستفتاح ببسم الله
الرحمن الرحيم ومنعهم من دخول مكة وقيل عصبيتهم لالهتهم
التي كانوا يعبدونها والانفة من ان يعبدوا غيرها **حمية الجاهلية**
التي تمنع اذعان الحق بدل عن الحمية او منصوب علي الذم وهي
انهم قالوا قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا في منازلنا
واللات والعزي لا يدخلنها ابدا • فان قلت الحمية من الكيفيات
النفسية لهم فما معني جعلهم اياها في قلوبهم وايضا هل تكون

الحمية الا في القلوب فما فائدة التصريح بها • قلت انهم كانوا
موصوفين بالحمية قبل ذلك كما هو شان الكفار ولكنها ما كانت
بحيث تحملهم علي ان يفعلوا ما لا يعتقد وقوعه في دينهم من منع الزوار
وصدهم فازدادت حميتهم يومئذ علي خلاف عادتهم القديمة
فالحمية الحادثة التي ظهرت منهم يومئذ لم تكن من افعال
قلوبهم وقد اختاروها فجعلوا في قلوبهم ما لم يكن من شانه
ان يجعل فيها واسند الجعل اليهم وان كان في الحقيقة فعل خالق
الافعال فعلي هذا ينبغي ان يحمل اللام في الحمية علي الاستغراق
تنزيلا لتلك الحمية منزلة كل حمية مبالغة وكذا يحمل اضافة
الحمية الي الجاهلية علي الاستغراق واذا تمهد هذا فنقول
التصريح بذكر القلوب علي سبيل الظرفية لتصوير تشبيه
لطيف هو كون قلوبهم كوعاء قد ملأوها من حمية الجاهلية
وانما قلنا ملأوها لان المظروف اذا كان في غاية الكثرة
ينبئ عن امتلاء الظرف منه والكثرة تستفاد من الاضافة
الاستغراقية كما ذكرنا ويمكن ان يراد من جعلهم اياها في
القلوب تثبيتهم اياها فيها والعمل بمقتضاها وترك مخالفتهم
اياها بتنزيل الابقاء منزلة الاحداث والله اعلم **فانزل
الله سكينته علي رسوله وعلي المؤمنين** اي انزل عليهم
الثبات والوقار وقيل ثبتهم علي الرضا والتسليم ولم يدخل
في قلوبهم ما دخل في قلوب اولئك من الحمية والتفسير الاول
يتضمن هذا لان الثبات والوقار يحصل به دونه • روي

البيهقي في الدلائل عن سهل بن حنيف انه قال جا عمر الي رسول
الله صلي الله عليه وسلم فقال يا رسول الله السنا علي الحق وهم
علي الباطل قال بلي • قال اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في
النار قال بلي • قال ففيم نعطي الدنية في ديننا ولما يحكم
الله بيننا وبينهم • فقال يا عمر بن الخطاب اني رسول الله ولن
يضيعني الله ابدا فرجع متغيظا فلم يصبر حتي جا ابو بكر فقال
يا ابا بكر السنا علي الحق وهم علي الباطل قال بلي قال اليس قتلانا
في الجنة وقتلاهم في النار قال بلي قال ففيم نعطي الدنية في
ديننا • قال يا ابن الخطاب انه رسول الله ولن يضيعه
الله ابدا فنزلت سورة الفتح فارسل رسول الله صلي الله
عليه وسلم اليه فاقراه اياها فقال يا رسول الله افتح هو
قال نعم انتهي فعلم من هذا ان انزال السكينة في ذلك الوقت
كان من اعظم النعم • وقيل المراد بحمية الذين كفروا وسكينة
المومنين • ما يروي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم لما نزل
بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب
ابن عبد العزي ومكرز بن حفص بن الاحنف علي ان يعرضوا
علي النبي صلي الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك وان تخلي
له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتبوا
بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم
ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله صلي الله عليه وسلم اهل

مكة فقال لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا
قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فهم
المسلمون ان يابوا ذلك واشمأزوا منه فانزل الله علي رسوله
السكينة فتوقروا وحلموا وانما اضاف السكينة اليه سبحانه
اضافة تشريف ههنا وقال فيما تقدم انزال السكينة في
قلوب المومنين تعظيما لشان المنزل عليه وهو الرسول صلي
الله عليه وسلم وتكريما له وللمومنين تبعا له وانما اتي بكلمة علي
مرة اخري في قوله علي رسوله وعلي المومنين اشارة الي التفاوت
بين ما انزل علي الرسول صلي الله عليه وسلم وما انزل علي المومنين
بحسب التفاوت بين الرتبتين وذكر الفا في قوله فانزل
للدلالة علي ان انزال السكينة كان مرتبا علي ظهور الحمية من
الكفار ترتب المسبب علي السبب بغير تراخ لغاية الاهتمام
باصلاح قلوب المومنين في مقابلة افساد قلوب الكافرين
والانزال نقل الشي من اعلا الي اسفل وقد يلحق المعاني
بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها وههنا ان كان انزال
السكينة بتوسط الملك فالامر ظاهر والا فعلي الاستعاره
تشبيها لما اتي من العالي رتبة الي السافل بما نقل من الاعلي
الي الاسفل والزمهم كلمة التقوي قال العلامة البيضاوي
كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها
لهم او الثبات والوفا بالعهد انتهي • الكلمة اللفظة الواحدة
وقد يراد بها لغة ما اشتمل علي الفاظ كالقصيدة وفي عرف

الشرع الكلمة الباقية وكلمة التوحيد معناهما واحد وكذلك
كلمة التقوى واضافتها الى التقوى لانها سببها واساسها
وقيل معناها كلمة اهل التقوى والزامهم اياها تثبيتهم عليها
بحيث لا يفارقونها ابدا واما ارادة الثبات والوفا بالعهد
فلعلها باعتبار كونه مسبوقا بكلمة تذكر عند انعقاده كما
سمي عيسى عليه السلام بكلمة الله لانه كان بكلمة كن **وكانوا**
احق بها اي كان النبي والمومنون احق واجدر بكلمة التقوى
من غيرهم ممن لم يلزمهم الله اياها ككفار مكة وهذا في الحقيقة
تعليل لما دل عليه ما قبله من تخصيصهم بكلمة التقوى دون
غيرهم لان الحكمة الالهية اقتضت تخصيص طايفة بالهداية
واخرى بالضلالة وقد كانت الاستعدادات مختلفة في
قبول الهداية منها ما كانت في غاية المناسبة للقبول
بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ومنها ما كانت
في غاية البعد عنها فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من
الحجارة لما يتفجر منه الانهار فتعينت الاولى لكلمة التقوى
لان العدل وضع الشيء في محله والحكمة فعل الشيء كما ينبغي
واهلها معطوف على خبر كان • في القاموس هو اهل لكذا
مستوجب اياه للواحد والجمع اي كانوا مستاهلين لتلك الكلمة
فان قلت اما كان ذكر الاحقية مغنيا عن ذكر الاهلية
قلت لا لان الاحقية امر اضافي بالنسبة الى كفار مكة ولا
يلزم من كونهم احق بها منهم كونهم مستوجبين اياها فكان ذكر

الاهلية

الاهلية بعد الاحقية من باب الترقي من الادنى الى الاعلى
ولا يخفى عليك ان قوله الزمهم كلمة التقوى تضمن امرين احدهما
تخصيصهم بها دون غيرهم والثاني جعلها لازمة لهم فذكر
سببيهما على سبيل اللف والنشر المرتب فالتخصيص للاحقية
واللزوم للاهلية لتقديم الحق في مغفرة واختيار الراجح
على المرجوح **وكان الله بكل شيء عليما** قال العلامة البيضاوي
فيعلم اهل كل شيء وتيسيره له انتهى • اشار الى ان علمه بكنه
الاشيا اقتضى ظهور الاشيا على ما ينبغي فلا جرم انزل السكينة
على الرسول فالمومنين والزمهم كلمة التقوى لما ذكر انزال
السكينة على الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين بعد ظهور
حمية الجاهلية والزامهم كلمة التقوى اراد ان يبين صدق
الرسول صلى الله عليه وسلم في روياه الدالة على دخولهم
المسجد الحرام تكميلا لسكينتهم وتثبيتا لهم على موجب الكلمة
وهو تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم في روياه وردا
على المرتابين فيها من المنافقين فقال **لقد صدق الله رسوله**
الرويا الصدق بالكسر والفتح ضد الكذب او بالفتح مصدر
وبالكسر اسم يقال صدق في الحديث وصدق فلانا الحديث
قال الامام الرازي نقلا عن الواحدي الرويا مصدر كالبشرى
الا انه لما صار اسما للمتخيل في المنام جرى مجرى الاسما قال
صاحب الكشاف والرويا بمعنى الروية الا انها مختصة بما كان
منها في المنام دون اليقظة فلا جرم فرق بينهما بحرفي التانيث

كما قيل القرينة والقرائن انتهى • ثم قال الامام في موضع اخر فقد
ثبت انه سبحانه خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود
الى عالم الافلاك ومطالعة اللوح المحفوظ والمانع لها من ذلك
اشتغالها بتدبير البدن وفي وقت النوم يقل هذا الاشتغال
فتقوى على هذه المطالعة فاذا وقفت الروح على حالة من
الاحوال نزلت اثارا مخصوصة مناسبة لذلك الادراك
الروحاني الى عالم الخيال فالمعبر يستدل بتلك الاثار
الخيالية على تلك الادراكات العقلية فهذا الكلام مجمل
وتفصيله مذكور في الكتب العقلية والشرعية مؤكد لما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤيا ثلاثة رؤيا
ما يحدث به الرجل نفسه ورؤيا تخويف من الشيطان والرؤيا
التي هي الرؤيا الصادقة حق وهذا التقسيم صحيح في العلوم
العقلية • وقال عليه السلام رؤيا الرجل الصالح جزء من
ستة واربعين جزءا من النبوة انتهى كلامه • روي انه
راى صلى الله عليه وسلم انه واصحابه دخلوا مكة امنين وقد
حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا وحسبوا
ان ذلك يكون في عامهم فلما تاخر قال بعضهم والله ما حلقنا
ولا قصرنا ولا راينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه
ولم يكذبه وفيه تعريض الى ان المرتابين في صدق رؤياه
زعموا نسبة الكذب اليه سبحانه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
لان مقام الانبياء وحي فتكذيبه تكذيب لنا وحي اليه كما

قال تعالى فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون
والتعريض انما يستفاد من التاكيد القسمي لان الكلام المؤكد
به انما يكون لرد الانكار الشديد وقيل كان القايل لذلك
عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث واللام
في قوله لقد صدق الله موطية للقسم على ما قال العلامة
البيضاوي في قوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت
وتقدير الكلام والله لقد صدق الله لكن المفهوم من كلام
بعض المحققين ان اللام الموطية للقسم انما تختص بها اذا كان
المقسم عليه جواب شرط مستقبل وقبل ذلك الشرط قسم نحو
قولك والله ان اتيتني لاتينك تسمى موطية اي ممهدة ومعينة
لكون الجواب للقسم لا للشرط **بالحق** يجوز ان يكون حالا عن
الرؤيا اي صدقه الرؤيا متلبسة بالحق على معنى انها لم تكن
من اضغاث الاحلام والحق ضد الباطل والاضغاث باطل
لا وجود لها مجرد وهم وله معان اخر منها الموجود الثابت
ويجوز ان يراد ههنا لان ما راه كاين لا محالة في وقته
المقدر له ومنها الواجب تعالى لانه من اسمائه تعالى ويجوز
ان يراد ههنا فتكون الباء حينئذ للقسم وقوله **لتدخلن**
المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف
ومنها الصدق فان اريد ههنا تكون توكيدا لقوله لقد صدق
الله في المعنى ومنها الحزم ولا يبعد ان يراد ههنا **ان شاء**
الله جملة انشائية شرطية تفيد مضمون الجملة الاولى

جزاؤها محذوف لدلالة الجملة الاولى عليه قال العلامة
الزمخشري • فان قلت ما وجه ان شاء الله في اخبار الله عز
وجل • قلت فيه وجوه ان يعلق عدته بالمشية تعليما
لعباده ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متادبين بادب الله
ومقتدين بسنته او ان يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم
يمت احد منكم وقال العلامة البيضاوي تعليق للعدة
بالمشية تعليما للعباد واشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت
او غيبة او حكاية لما قاله تلك الرؤيا والنبي صلى الله عليه
وسلم لاصحابه انتهى لعله غير الجواب الثاني مما في الكشاف
الى الاشعار المذكور مبنيا على انه يتجه عليه انه لا يدفع اصل
السوال لان علمه تعالى كما احاط بدخولهم المسجد في وقت
خصصته الارادة به احاط بانهم يدخلون جميعا او بعضا
فما معنى الشرطية الدالة على التردد بين ان يدخلوا جميعا
او بعضا في كلامه تعالى وما ذكر من الاشعار انما يحسن اذا
صح ان بعضهم لم يدخل • ولك ان تقول تعليق دخول الكل
بالمشية لا يشعر بان بعضهم لا يدخل لان تعليق دخول
المجموع بالمشية يكله ان حقيقته التردد في دخول
المجموع وعدمه وليس بمراد ولو اريد لما كان فيها اشعار
بعدم دخول البعض والمعنى المجازي الذي لا يفيد ذلك غير
ظاهر اللهم الا ان يقال ان الشك في كلام الله غير متصور
ودخولهم في المسجد متقرر في علم الله فلو كان متعلق علمه دخول

الكل لم يبق للتعليق بالمشية فايدة مع ان المعروف في اخبار
الله القطع فيما يخبر به عن المغيبات فاستعير ما وضع لتجويز
الوجود والعدم بحسب العقل لتجويزهما في نفس الامر
فدلت كلمة ان شاء على تجويز عدم دخول المجموع في نفس الامر
ومن المعلوم ان كل ممكن يجوز عدمه فلا فايدة في ذكره الا
الاشعار بان جواز العدم ينتهي الى وقوعه وهو باعتبار
عدم دخول البعض لان دخول الاكثر امر مقرر كما اشرنا
اليه والله اعلم • ثم ان التوجيه الثالث والرابع مبني على ان
قوله لتدخلن الى اخره تفسير وبيان للرؤيا فالله سبحانه
وتعالى يحكي ما راه النبي صلى الله عليه وسلم في المنام على
الوجه الذي القي اليه الملك الذي اوحي اليه بمضمون الكـ
بمكة ولا شك ان الملك يعلق ما يخبر عنه بالمشية تادبا
وان كان يعلم انه كائن لا محالة باخبار الله اياه او يحكي
ما راه على الوجه الذي عبر به صلى الله عليه وسلم حين قص على
اصحابه والاول اظهر وقيل هو تعليق لقوله تعالى
امنين والاستثناء باق على حاله والجواب كما مر وهو حال
من الواو والشرط معترض يعني امنين من العدو او من العذاب
يوم القيمة كما قيل في قوله تعالى ومن دخله كان امنا
او من كل ما يخاف منه كما يدل عليه الاطلاق محلقين
رؤسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا اخرون
حالان اخران عن المضمر المذكور فهي احوال مترادفة الا

ان الثانية والثالثة انما هي متدرجة كقوله فادخلوها خالدين او على التوسعة في زمان الحال بان يشمل ما هو قريب منه والحليق للرجال والتقصير للرجال والنساء جميعا والحلق افضل • عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال رحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال رحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال والمقصرين • وفي بعض الروايات قال في الرابعة واستدل الحنفية بهذه الاية على وجوب الحلق والتقصير بانه تعالى اخبر بدخولهم محلقين فلا بد من الوجوب الحال على الوجود فيوجد المخبر به ظاهرا او غالبا ليطابق الاخبار غير ان هذا التاويل ظني فيثبت به الوجوب لا القطع وعند الشافعي رحمه الله هو ركن في الحج والعمرة **لا تخافون** حال موكدة او استيناف اي لا تخافون بعد ذلك كذا ذكره العلامة البيضاوي والاول يحتمل ان يكون حالا من الضمير المذكور فيكون من الاحوال المترادفة او عن ضمير محلقين ومقصرين فيكون من الاحوال المتداخلة ويجوز مثل ذلك في محلقين بالنسبة الى امنين وفي ذكر الحلق والتقصير اشارة الى توفيق اداء النسك من اولها الى اخرها اما في العمرة فظاهر واما في الحلق فالحج انما يقع بعد معظم الاركان وبامن بعد ذلك عن فوات الحج في تلك السنة لسعة وقت

طواف الزيارة وفي ذكر ما يدل على ازالة التفث عن الظاهر اشعار بازالة الذنوب عن الباطن وهو المطلب الاعلى والمقصد الاقصى من المناسك ويمكن ان يكون المراد من قوله امنين الامن عن العدو ومن قوله لا تخافون بعد الحلق والتقصير عدم الخوف من عذاب الاخرة كما قال تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • فان قلت الخوف لازم الايمان فكيف يتصور سلبه عن المومن قلت المراد نفي ما يخاف منه لانه اذا دفع عنهم ما يوجب الخوف فكانه ارتفع عنهم الخوف **فعلم ما لم تعلموا** اي علم الله ما لم تعلموا يعني المومنين من الحكم البالغة في تاخير دخولكم المسجد الحرام وفتح مكة الى غير ذلك قال العلامة الزمخشري من الحكم والصواب في تاخير فتح مكة الى العام القابل واورد عليه انه لم يكن فتح مكة في العام القابل انما كان بعد ذلك باكثر من عام لان الفتح كان سنة ثمان من الهجرة وكان خروجه من المدينة عام الحديبية سنة ست من الهجرة • روي انه عليه السلام لما رجع منها مضى الى خيبر واخذ من العدة والقوة اضعاف ما كان فيه من ذلك العام واقبل الى مكة على هيبة وقوة وعدة باضعاف ذلك • وقيل علم ان بمكة رجالا مومنين ونساء مومنات لم تعلموهم والاظهر انه من جملة ما يندرج في قوله ما لم تعلموا وقد يفيد الفاء العاطفة في الجمل كون المذكور بعدها

كلاما مرتبا في الذكر على ما قبلها لا كونه عقيب ما قبلها في الزمان
كقوله تعالى نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين
وههنا كذلك لان علمه تعالى ليس متأخرا بحسب الزمان
عما ذكر قبله لكن حقه في الذكر ان يذكر بعده لانه لما قال
لقد صدق الله رسوله الرؤيا علم ضمنا ان لله في تاخير
موجب الرؤيا حكمة فكان قوله فعلم ما لم تعلموا تصريحا بما
علم ضمنا فحقه ان يذكر بعده لان الاجمال يشوق الى التفصيل
والايماء الى التصريح وذلك اوقع في النفس ولا يذهب
عليك ان فيه نوع تفصيل باعتبار دلالته على فخامة شان
تلك الحكمة باعتبار ابهام الموصول اعني كلمة ما وافادة
اختصاصه تعالى بعلمها دونهم وباعتبار سياق الكلام على
ما لا يخفى على الفطن وكذا الفاء في قوله تعالى فجعل من
دون ذلك فتحا قريبا فانه لما ذكر ان له في تاخير موجب
الرؤيا حكمة ترتب ان يذكر بعد ذلك ما يستروح اليه
قلوب المؤمنين الى ان تيسر الموعود • وفي القاموس دون
بالضم بمعنى امام ووراء ضدين وفسر بكل منهما ههنا فالمعنى
على الاول من قبل دخولكم المسجد او فتح مكة واختاره
العلامة البيضاوي وعلى الثاني من بعد رؤيا النبي صلى الله
عليه وسلم والمراد من الفتح القريب فتح خيبر وقيل فتح مكة
وهذا مبني على الثاني وقال مجاهد هو صلح الحديبية
لانه انما كان القتال حين يلتقي الناس فلما كانت الحديبية

وضعت الحرب اوزارها وامن الناس بعضهم بعضا فالتقوا
وتفاوضوا الحديث والمناظرة فلم يكلم بالاسلام احد
يعقل شيئا الا دخل فيه فلقد دخل في تلك السنتين في الاسلام
مثل ما كان في الاسلام قبل ذلك واكثر يدل على ذلك انهم
كانوا سنة ست يوم الحديبية الفا واربعمائة وكانوا بعد
عام الحديبية سنة ثمان في عشرة الاف وجعل من
الافعال العامة يجيء على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق
فلا يتعدى وبمعنى وجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله
وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين
والظاهر ان المراد ههنا هو المعنى الثالث ومفعوله الاول
فتحا والثاني الظرف وقدم ليختتم الكلام بقوله فتحا قريبا
رعاية للفواصل وكلمة من تجيء بمعنى في نحو قوله تعالى اذا
نودي للصلاة من يوم الجمعة واجاز قوم زيادتها في الايجاب
هو الذي ارسل رسوله استيناف يحقق ما ذكر قبله من
وعد النصر والفتح وتصديق الرؤيا وغير ذلك لان
المراد من ارسال الرسول اذا كان اعلاءه على الاديان كلها
فلا محالة انها كائنة وكرر في اثناء السورة هذا الاسلوب
اعني التعبير عن ذاته المقدس بضمير هو واثبات الموصول
الذي صلته معلوم للمخاطبين كقوله هو الذي انزل
السكينة هو الذي كف ايديهم عنكم ايقاظا لهم وتنبيها
على ان ما يدل على كمال قدرته الباهرة الموجبة انجاز ما وعد

واعلاء دينه معلوم عندكم فاذا انا مليتم فيه لم يبق لكم ريب
في ان الغزو والغلبة بالاخرة لكم والمراد من رسوله محمد صلى
الله عليه وسلم فالاضافة عهدية والقرينة سياق الكلام
وقوله ليظهره على الدين كله لانه مختص به وما بعده على
ما يجي بيانه ان شا الله **بالهدي** وقدم تفسيره في اول
السورة قال العلامة البيضاوي متلبسا به او بسببه اولا
انتهى • فعلى الاول ظرف مستقر حال عن رسوله وتلبسه
باعتبار انه دلالة على ما يوصل الى الحق وصف قايم به
وعلى الثاني والثالث ظرف لغو متعلق بارسل والبا للسببية
لكن السببية على وجهين احدهما ان مدخول البا باعتبار
وجوده في الخارج علة لما قبلها وهو المعنى الثالث فان
الهداية من صفات الله تعالى لانه الهادي فوجوده في نفس
الامر اقتضى ارسال الرسول • فان قلت الهداية من الصفات
الفعلية وتحققه مع تحقق الاهتدا والاهتدا بعد الارسال
فكيف يتصور تقدمه على الارسال • قلت الحادث
المقرون مع الاهتدا انما هو التعلق واما نفس الهدي القايم
بذات القديم قديم • وثانيهما ان مدخول البا باعتبار
وجوده العلمي سبب لما قبلها وباعتبار وجوده الخارجي
متاخر عنه كالربح بالنسبة الى التجارة وهو المعنى الثالث
ويقال له العلة الغائية وقد سبق ان افعال الله غير
معلل بالعلل الغائية ولا بغيرها من العلل ولكن يقال

لها فوايد ومصالح ومنافع لان الحكيم المختار لا يفعل شيا الا
وله مصلحة ومنفعة ترجع الى العباد **ودين الحق** دين الاسلام
ليظهره اي ليعليه والظاهر ان ضمير الفاعل راجع اليه
سبحانه وضمير المفعول اما يرجع الى الرسول والمضاف محذوف
اي ليعلي دينه او باعتبار ان اعلاه كناية عن اعلاء دينه
ويجوز ان يكون ضمير الفاعل راجع الى الرسول وضمير المفعول
الى دينه **على الدين كله** اللام للاستغراق فالمراد الاديان
كلها من اديان المشركين والجاحدين واهل الكتاب واعلاه
عليها بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط
المومنين على اهل كل دين اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم
المسلمون والدين بالكسر الملة من دان له اي اطاعه سميت
به لكونها مطاعا لاهلها ويجوز ان يكون من دان اذا جازاه
فان اهل كل دين يجزيون به • ويجوز ان يكون ماخوذا من
الدين بمعنى العادة لانها عادة بالنسبة الى من يتدين
بها • في تفسير القرطبي الدين اسم بمعنى المصدر ويستوي
فيه لفظ الواحد والجمع لعله اراد كونه بمعنى المصدر باعتبار
الاصل والا فمعناه الملة وهي الطريقة المسلوكة للاديان
الملل ثم ان الاظهار على الاديان كلها من خصايص دينه
صلى الله عليه وسلم لان غيره من الانبيا ليس له ذلك
قال العلامة الزمخشري ولقد حقق ذلك سبحانه فانك
لا ترى دينا الا وللاسلام دونه العز والغلبة وقيل

هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الارض
كافر وقيل اظهاره بالحجج والايات **وكفى بالله شهيدا**
على ان ما وعد كائن • عن الحسن شهيدا على نفسه انه سيظهر
دينك وقيل شهيدا على انه رسول الله لان الكفار ابوا ان
يكتبوا هذا ما صالح عليه محمد رسول الله والباء متعلقة اي كفى
الله شهيدا على ان شهيدا تمييز عن نسبة الفاعل اي كفاك
شهادته • وقال الزجاج دخلت الباء لتضمين معنى اكتف
وحسنه ابن مالك وصحح قوله بقولهم اتقى الله امرء فعل
خيرا يثب عليه اي ليتق الله وليفعل بدليل جزم يثب
والمعنى اكتف بالله فالخبر بمعنى الامر • وقال ابن السراج
الفاعل ضمير الاكتفاء اي كفى الاكتفاء بالله حال كونه شهيدا
وصحح قوله موقوف على جواز تعلق الجار بضمير المصدر
وهو قول الفارسي والرماني اجازا مروري بزيد حسن
وهو بعمرو قبيح واجاز الكوفيون اعماله في الظرف وغيره
ومنع جمهور البصريين اعماله مطلقا وعلى تقدير كونه زائدا
لا يحتاج الى متعلق والاصل ان افعالا قصرت عن الوصول
الى الاسماء اعينت على ذلك بحروف الجر فهي لايصال معنى الفعل
الى مدخولها فلا بد من متعلق واما الزائد انما يدخل في الكلام
تقوية له وتوكيدا ولم يدخل للربط فلا يحتاج الى متعلق
محمد رسول الله قال العلامة البيضاوي جملة مبينة للمشهود
به وهذا مبني على القول الثاني في تفسير متعلق الشهادة

على ما مر وكان ترك العاطف حينئذ لكمال الاتصال ثم قال ويجوز
ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدا وهذا
على تفسير الاول والثاني على تقدير ان يكون خبر محذوف
تقدير الكلام وهو راجع الى رسوله في قوله ارسل رسوله
وعلى تقدير ان يكون مبتدا ورسول الله صفته **والذين معه**
معطوف عليه فخبرهما **اشداء على الكفار رحماء بينهم** وعن ابن
عامر انه قرا رسول بالنصب على المدح والذين معه اصحابه
وقيل جميع المومنين فالمراد من المعية المشاركة في الدين
اشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على
من خالفهم في الدين ويتراحمون فيما بينهم اي يرحم بعضهم
بعضا وقيل يتعاطفون يتوادون • قال العلامة الزمخشري
بلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يحترزون من ثيابهم
ان تلزق ثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من تراحمهم
فيما بينهم انه كان لا يرى مومن مومنا الا صافحه وعانقه
والمصافحة لم يختلف فيها الفقهاء واما المعانقة فقد كرهها
ابو حنيفة وكذا التقبيل وقال لا احب ان يقبل الرجل
وجه الرجل ولا يده ولا شيئا من جسده • وقد رخص ابو يوسف
في المعانقة ومن حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا
التشديد وهذا التعطف انتهى كلامه يعلم من الاية الكريمة
ان كمال المومن ان يجمع بين الوصفين فما عليه متصوفة زماننا
من اظهار التوادد والتواضع مع الظلمة والفسقة وغيرهم

زعما منهم انه من حسن الخلق خلاف مقتضى النص وليس من حسن الخلق بل هو مداهنة في الدين لاغراض راجعة الى حظوظ انفسهم فان قلت مورد الاية الكفار لا غير قلت يفهم ضمنا استحباب الشدة على الفاسق وان كان دون الشدة مع الكافر لان المقصود من اظهار الشدة على الكافر اظهار التصلب في الدين والانقطاع عن من يخالفه احترازا عن تاثير صحبتهم واظهارا لقبح صنيعهم ليتزجروا ولعلهم ينتهون وهذه العلة جارية في حق الشدة على الفاسق مع ان ازجاره اقرب والشفقة عليه اوفر وخلاصة المضمون الحب في الله والبغض لله وانما قدم الشدة على الرحمة لان المجاهدة مع النفس فيها اكثر لان الملايمة مقتضى الطبع خصوصا مع الاقارب الذين كانوا احبا واصدقا قبل ظهور الاسلام على انه مترتب على الشدة انواع من العداوات الموجبة لانواع من المضرة بحسب الدنيا ولانها اهم في اعلاء الدين قال الله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه وانما ذكر كلمة على في جانب الشدة ليدل على استعلائهم بالنسبة الى الكفار ولم يذكرها في جانب الرحمة اشعارا بان رحمتهم بالنسبة الى المومنين لم يكن على وجه الاستعلاء بل على سبيل التواضع كما قال تعالى واخفض جناحك للمومنين • وقرا الحسن اشداء على الكفار رحماء بينهم بالنصب على المدح او على الحال واصل بين ان يكون مصدرا بمعنى الفراق فتقدير جلست

بينكما اي بمكان فراقكما وتقدير فعلت بين دخولك وخروجك اي زمان فراق دخولك وخروجك فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبين يستعمل في الزمان والمكان كذا افاده المحقق الرضي لكن المكان قد يكون حقيقيا وقد يكون تمثيليا فان كل امرين مستقلين يعتبر بينهما ما هو بمنزلة مكان واقع بين جسمين متصلين فيعبر عنه بكلمة بين **تراهم** خطاب عام اي تراهم ايها الرائي **ركعا** جمع راكع **سجدا** جمع ساجد اي تراهم راكعين ساجدين اذا نظرت اليهم في اوقات الصلاة او في اكثر اوقاتهم وهذا هو المناسب في مقام المدح بالنسبة اليهم كما يشعر به عدم تقييد الروية بوقت دون وقت والجملة خبر المبتدا على تقدير نصب اشدا وخبر بعد خبر على تقدير رفعه او استيناف لبيان معاملتهم مع الخالق تعالى بعد بيان معاملتهم مع المخلوقين فانهم اذا وصفوا بكونهم مشغولين في اكثر اوقاتهم بالصلاة المشتملة على غاية الخشوع والخضوع واشتغال الجوارح كلها بالعبادة والقلب بالذكر واللسان بالمناجاة والبصيرة بالمشاهدة علم انهم على اكمل وجوه العبودية رضي الله عنهم ورضوا عنه وخص الركوع والسجود بالذكر لمزيد الخشوع والخضوع فيهما ولا يخفى عليك ما في صيغة المضارع من الدلالة على الاستمرار التجددي اي تراهم دايما على الوصف المذكور كلما يتجدد منك روية تجدهم راكعين ساجدين ويحتمل ان

لكون الجملة حالا عن ضمير اشداء ورحما لما ذكره وام عبادتهم
اراد ان يذكر اخلاصهم فيها يبتغون فضلا من الله ورضوانا فيقال
قال العلامة البيضاوي الثواب والرضا والابتغا هو الطلب
والفضل في الاصل ضد النقص وهو الكمال سمي به الثواب
لانه كمال للمنعم لكونه بغير عوض وللمنعم عليه لانه السعادة
الابدية • فان قلت قوله تعالى اورثتموها بما كنتم تعملون
واشباهه يدل على انه عوض للاعمال الصالحة لان البا
للمقابلة وليست للسببية كما هو مذهب المعتزلة لان
المعطي بعوض قد يعطي مجانا واما المسبب فلا يوجد بدون
السبب كما قيل • قلت لو سلم كونها للمقابلة والمعاوضة
فلا ينافي ما قلنا لان الكريم اذا اعطي خزاين من الجواهر وغيرها
في مقابلة هدية فقير يقال لها في المثل نملة جاءت برجل
من جراد وقال هذا عوض ما اهديته لنا مسامحة منه
وتفضلا وجبر الخاطر لئلا يخجل بحقارة هديته لم يصر في
نفس الامر تلك الهدية بهذا الكلام عوضا ومقابلا لتلك
الخزاين بل صح في نفس الامر ان يقال اعطاها فضلا منه
واحسانا لان وجود تلك الهدية وعدمه في مقابلة تلك
الخزاين سيان على انه يجوز ان تحمل البا على السببية ويمنع
ما ذكر في ابطالها لان الاسباب العادية لا تاثير لها
في المسببات فقد يتحقق بدونها لا يقال المسبب من حيث
انه مسبب لا يوجد بدون السبب لانا نقول العوض ايضا

من حيث انه عوض لا يوجد بدون المعوض عنه فما هو جوابكم
فهو جوابنا والجملة حالية اي تراهم راكعين ساجدين حال
كونهم يبتغون او مستانفة كانه لما قيل ركعا سجدا قيل
ما يبتغون • فاجيب بانهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا
وتاخير الرضوان من باب الترقي الى الاعلى • فان قلت
كمال العبودية ان تعبد الله لكمالاته الذاتية واستحقاقه
للعبودية من غير التفات الى ما يرجع اليه من الاغراض
والصحابة اكمل العابدين فكيف يبتغون الثواب في عبادتهم
قلت لا يضر ذلك في اخلاصهم لان طلبهم الجنة والثواب
لامتثال امره سبحانه حيث قال تعالى قال ربكم ادعوني
استجب لكم فالمراد من ابتغا الثواب هو الرضا ولهذا اختم به
والله اعلم سيماهم في وجوههم من اثر السجود قال العلامة
البيضاوي يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود
فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قريت ممدودة ومن اثر السجود
بيانها او حال من المستكن في الجار انتهي • وقد اختار في
تفسير السيما ما اختاره العلامة الزمخشري حيث قال
المراد السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود وكان
كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله
ابن عباس ابي الاملاك يقال له ذو الثفنات لان كثرة
سجوده احدثت في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير
انتهي الثفنات جمع ثفنة البعير وهي ما يقع على الارض

من اعضايه اذا استناخ ويغلظ كالركبتين وغيرهما وانما
سمي ابن عبد الله رضي الله عنهما ابا الاملاك لان اولاده كانوا
ملوكا • وفي القاموس السومة بالضم والسيمة والسيما
والسيما بكسرهن العلامة انتهي واذا عرفت هذا فنقول
تفسير السيما بما فرابه بعيد جدا من وجوه • اما اولا فلانه
تعالى وصف المذكورين اولا بالتصلب في الدين وثانيا
بالترحم علي المومنين وثالثا بدوام العبادة راكعين
ساجدين ورابعا بكونهم في العبادة مخلصين فالسيما المذكورة
في المرتبة الخامسة من مراتب المدح اثر لما هو اعلي مقامات
العبودية وهو السجود ينبغي ان يكون احسن العلامات
المترتبة في العبادات ليحصل به الترقي في المدح المفهوم من
هذا السياق والسمة الحادثة في جبهة السجاد ليست بهذه
المثابة يدل عليه ما روي عنه صلي الله عليه وسلم لا تعلبوا
صوركم اي لا توثروا فيها بشدة اعتمادكم فان قلت
قد اجيب عنه بان المراد من النهي ما اذا اعتمد بجبهته علي
الارض ليحدث فيه تلك ريا ونفاقا • قلت هذا تاويل
والمتبادر منه العموم علي انه لو سلم فالعلامة يتوهم فيه
الريا فعدمه خير من وجوده • وعن بعض المتقدمين
كنا نصلي فلا يري بين اعيننا شي ونري احدنا الان
يصلي فيري بين عينيه ركبة العنز فما ندري اثقلت
الان رووسهم ام خشنت الارض فان صح هذا دل علي انه لم يكن

في زمن الصحابة تلك السمة في جبهتهم واما ثانيا فلان
السيما بالتفسير المذكور لا وجود لها الا في دار الدنيا وقد
روي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم في قوله سيماهم قال النور يوم القيمة • واخرج
الطبراني عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم قال ان الانبيا يتباهون ايهم اكثر اصحابا من امته
فارجو ان اكون يوميذ اكثرهم كلهم واردة وان كل رجل
منهم يوميذ قايم علي حوض ملان معه عصا يدعو من عرف
من امته ولكل امة سيما يعرف بها نبيهم • واما ثالثا
فلانه اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والبيهقي
في سننه عن حميد بن عبد الرحمن قال كنت عند السايب
ابن يزيد اذ جاء رجل وفي وجهه اثر السجود فقال لقد
افسد هذا وجهه اما والله ما هي السيما التي سمي الله •
ولقد صليت علي وجهي منذ ثمانين سنة ما اثر السجود بين
عيني • وعن مجاهد قال ليس له اثر في الوجه ولكنه
الخشوع • قال منصور سالت مجاهدا عن قوله تعالي سيماهم
في وجوههم اهو اثر يكون بين عيني الرجل قال لا ربما يكون
بين عيني الرجل مثل ركبة العنز وهو اقسي قلبا من الحجارة
ولكنه نور في وجوههم من الخشوع • وعن عطا استنارت
وجوههم من طول ما صلوا بالليل • وعن ابن عباس رضي
الله عنه قال السيما في الدنيا هو سمة الحسن • وعنه عن

النبي صلي الله عليه وسلم في قوله سيماهم قال جبريل اذا
نظرت الي الرجل من امتك عرفت انه من اهل الصلاة باثر
الوضو واذا اصبح عرفت انه قد صلي من الليل وهو يا محمد
العفاف في الدين والحيا وحسن السمة دقال سفيان الثوري
يصلون بالليل فاذا اصبحوا رئي ذلك في وجوههم بيانه
قوله صلي الله عليه وسلم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه
بالنهار • وقال عطا الخراساني دخل في هذه الاية كل
من حافظ علي الصلوات الخمس فعلم من مجموع هذه الاخبار
والاثار ان ليس المراد من السيما ما يحدث في الجبهة علي ما قال
ولكن اختلفت العبارات في التعبير عن المراد والكل متقارب
فان حسن الوجه والسمة الحسن ونور في الوجه ما لها واحد
واما الخشوع والحيا والعفاف والوقار فلا يراد بها
ظواهرها بل اثارها لان الظاهر في الوجه ليس الا الاثار
وما دل تلك الاثار هو الذي عبر عنه بالحسن والنور •
والحاصل ان حقيقة السيما متضمنة لجميع ما ذكر في التعريفات
المذكورة وهي رسوم له وكل واحد منها تعريف بخاصة من
خواصها وليست من مقولة الالوان وما اشبهها بل هي امور
يدركها الانسان عند النظر الي وجوههم فيقبل اليه قلبه
ويعجبه ان يكرر النظر اليهم ويذكر الله عند مشاهدتهم والي
اشار صلي الله عليه وسلم بقوله اذا رؤوا ذكر الله والعبارة
قاصرة عن بيان كنهه فلا محالة يعبر عنه باحدي التعبيرات

المذكورة

المذكورة او ما ضاهاها • وما روي عن الضحاك ليس بالندب
في الوجوه ولكنه صفرة ابعد لانه قد يشاهد في وجه
انسان لا تتصور الصفرة في وجهه كمن يجي اشد سوادا من
الفحم والغراب والذئب بالتحريك الجرح اذا لم يرتفع عن
الجلد • وعن سعيد بن المسيب ندا الطهور وتراب الارض
ولا يخفي ما فيه بعد ما عرفت من التفصيل • فان قلت
لا نزاع في ان السيما مدرك في الوجوه بحاسة البصر ولا
يدرك بحاسته ما ليس بجسم ولا لون ولا شكل ولا غير
ذلك مما يبصر • قلت لا نسلم لان صورته ترتسم في
الباصرة بل في العقل عند استعمال الة البصر علي انه يجوز
ان يدرك البصر ما ليس بمحسوس فان الله تعالي وتقدس
يري في دار الاخرة بحاسة البصر مع تنزهه عن الجهة
والكيف • فان قلت ذلك في دار الاخرة • قلت المقصود
بيان الامكان • فان قلت قد قال تعالي من اثر السجود
والسجود انما يكون بالجبهة فلا بد ان يكون اثره فيها
لان اثر الشي بقيته في الاصل ويراد منه ما يترتب علي
تاثيره فيظهر في المحل • قلت الشي قد يكون تاثيره حسيا
فاثره محسوس وقد يكون تاثيره معنويا واثره بناسبه
وما نحن فيه من القسم الثاني فان السجود وساير العبادات
يورث نورا وصفا في القلب فيظهر اثره في الوجه فيشاهد
من نظر اليه فهو امر بديهي وجداني غني عن التعريف

و ايضا لو كان المراد من السيما ما يحدث في الجبهة كان الاولي
في التعبيرات بقال سيماهم في جباههم من اثر السجود كما
لا يخفي • لو نقلت السيما علي ما ذكرت هو اثر العبادة مطلقا
فما وجه التخصيص بكونه اثرا للسجود • قلت تخصيصه بالذكر
لان فيه كمال العبودية لان اشرف اعضا الانسان في
وجهه واذل اركان العناصر للتراب فوضعه اشرف اعضا
علي اذل الاشيا السفلية اظهار لكمال تذلله في حضرة كبريا
سلطان عز الالوهية تعالي وتقدس وكمال العبودية
في كمال التذلل وقري سيماهم **ذلك** قال العلامة البيضاوي
اشارة الي الوصف المذكور او اشارة مبهمة تفسيرها كزرع
انتهي • الظاهر ان المراد من الوصف المذكور جميع ما يدل
عليه قوله تعالي اشدا علي الكفار الي قوله سيماهم في
وجوههم من اثر السجود والا فان كان المراد ما يدل عليه
سيماهم الي اخره كان المناسب ان يقال هذا بدل ذلك
لقربه باعتبار البداية والنهاية **مثلهم في التوراة**
ومثلهم في الانجيل اي وصفهم العجيب الشان في الكتابين
جميعا وقيل تم الكلام عند قوله في التورية ثم ابتدا فقال
ومثلهم في الانجيل كزرع اقول يومي ذكر مثلهم ثانيا
في جانب المعطوف المثل في الاصل بمعني النظير يقال
مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم للقول
السائر المثل مضربه بمورده ولا يضرب الا بما فيه غرابة

ولذلك حوفظ عليه من التغيير والمراد بالمورد الحالة
الاصلية التي ورد فيها الكلام وبالمضرب الحالة المشبهة
لها وهو معني قولهم الاستعارة التمثيلية متي فشا
استعمالها سميت مثلا وعدم تغييرها من جهة ان المثل
استعارة يجب ان يكون هو اللفظ الدال علي المشبه به
ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها
غرابة مثل قوله مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله ولله
المثل الاعلي • قال مجاهد هو مثل واحد يعني ان هذه
صفتهم في التوراة والانجيل فلا يوقف علي التورية علي هذا
وقال ابن عباس رضي الله عنهما هما مثلان احدهما في التوراة
والاخر في الانجيل فيوقف علي هذا علي التوراة **كزرع** يعني هم
كزرع وهو في الاصل مصدر زرع كمنع طرح البذر وههنا
بمعني المزروع تمثيل مستانف او تفسير علي ان يكون ذلك
مبهما او خبر علي ان يكون ومثلهم في الانجيل ابتدا كلام
اخرج شطاه قال العلامة البيضاوي فراخه يقال اشطا
الزرع اذا افرخ وفراخ الزرع ما يخرج من اصله ويظهر
مما كان مكونا ومندمجا في استعداده ويؤل اليه
ما قال مقاتل هو نبت واحد فاذا خرج ما بعده فقد
اشطاه وما قال الاخفش في قوله اخرج شطاه اي طرفه
وما قال الزجاج اخرج شطاه اي نباته وما قيل انه
السنبل فيخرج من الحبة عشر سنبلات وتسع وثمان وهذا

مثل ضربه الله تعالى للاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فانهم كانوا في غاية القلة ابتداء ثم ازدادوا وكثروا وكذا
حالهم في الازدياد الى اخر الدهر وفيه اشارة الى ان
المومنين كبنيان واحد والى ان اهل الايمان كحب زرع
النبي صلى الله عليه وسلم فاخرج ما كان منه زرعا في
حقيقته من المومنين كلهم • فان قلت المندرج تحت حقيقة
الايمان ايمان المومنين لا انفسهم • قلت نزلوا منزلة عين
الايمان مبالغة واشعارا بانه لما كان المقصود من المومن
هو الايمان كان ما سوى الايمان فيه كالعدم قال الله
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قيل اي
ليعرفون • وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاه بالمد
وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا
فازره اي فقواه من الموازرة وهي المعاونة او من الايزار
وهي الاعانة كذا ذكره العلامة البيضاوي وعن الاخفش
انه افعل اي قواه واعانه وشده اي قوى الشطا الزرع
وقيل بالعكس اي قوى الزرع الشطا ولكل وجه والثاني
هو الاظهر فاستغلظ اي فصار من الدقة الى الغلظ
والظاهر ان المستتر راجع الى الشطا لانه وصف الزرع
بانه قواه فاذا قواه صار غليظا فالفا للتفريع ويدع
فاستوى على سوقه لان المستقيم على الساق انما هو الشطا
في الحقيقة وارجاع ضمير استغلظ الى الزرع وضمير

استوي الى الشطا تفكيك وانتشار وان كان راجعا الى الزرع
فالفا في المعطوفات للتعقيب المطلق لان الايزار
قبل الاستغلاظ والاستغلاظ قبل الاستوا لان الاستوا
على السوق موقوف على غلظة السوق ولا بد من ارتكاب
التجوز حينئذ في قوله فاستوى لان الزرع لا يستوي
على السوق الا باعتبار بعض اجزائه وهو شطاه والاستوا
هو الاستقامة • والسوق جمع ساق وهو قصبة
الزرع ههنا والمعنى فاستقام على قصباته وقيل مكتوب
في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر • وعن عكرمة اخرج شطاه
بابي بكر فازره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه
بعلي وهذا مثل ضرب الله لبداء امر الاسلام وترقيه
في الزيادة الى ان قوي واستحكم لان النبي صلى الله عليه وسلم
قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن امن معه كما يقوي الطاقة
الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها انتهى •
والمقام خطابي فلا ينافي فتبصر فيه يعجب الزراع اي يعجب
هذا الزرع الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن
منظره واذا اعجب الزراع فهو احرى ان يعجب غيرهم
لانه لا نقصان فيه اذ قد اعجب العارفين بعيوب
الزرع فلو كان معيبا لم يعجبهم فهذا اعجبه اي حمله على
العجب منه لحسنه والغرابة فيه والزراع جمع زارع

واللام للجنس والجملة في موضع الحال والتشبيه تشبيه
التمثيل وهو ما يكون وجهه منتزعا من متعدد لا من
قبيل المجاز المركب الذي يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة
لان الاستعارة بناؤها على تناسي التشبيه باستعمال
اللفظ الدال على المشبه به في المشبه ولكن اطلاق لفظ المثل
يدل على الثاني لان المجاز المركب اذا فشا استعماله على سبيل
الاستعارة يسمى مثلا كما بيناه انفا فلا مخلص الا بان يراد
من المثل المعنى الذي اشرنا اليه بقولنا استعير لكل حال
او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة واليه اشار العلامة
الزمخشري حيث قال في تفسير المثل اي وصفهم العظيم الشان
ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه
فان الكفار لما سمعوا غاظهم ذلك او لقوله وعد الله الذين
امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما
وانما قدم على المتعلق لمزيد الاهتمام ببيان غيظهم ولرعاية
الفواصل وليكون اختتام السورة بذكر المغفرة والاجر العظيم
للمؤمنين كما كان افتتاح السورة بذكر الفتح والمغفرة واتمام
النعمة • وقوله منهم للبيان لا للتبعيض لان الوعد لكلهم
وكلهم امنوا وعملوا الصالحات • والاجر العظيم هو الجنة
واخرج ابن مردويه والقاضي محمد المزهري في فضائل الخلفاء
الاربعة والشيرازي في الالقاب عن ابن عباس رضي الله
عنهما محمد رسول الله والذين معه ابو بكر اشداء على الكفار

عمر رحماء بينهم عثمان تراهم ركعا سجدا علي يبتغون فضلا من الله
طلحة والزبير سيماهم في وجوههم من اثر السجود عبد الرحمن بن
عوف وسعد بن ابي وقاص وابو عبيدة بن الجراح ومثلهم
في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره بابي بكر فاستغلظ
بعمر فاستوى على سوقه بعثمان يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار
بعلي وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات اصحاب محمد وروى
ابو عروة الزبيري من ولد الزبير كنا عند مالك بن انس فذكروا
رجلا ينتقص اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا
مالك هذه الاية محمد رسول الله والذين معه حتى بلغ يعجب
الزراع ليغيظ بهم الكفار فقال مالك من اصبح من الناس
في قلبه غيظ على اصحاب رسول الله فقد اصابته هذه الاية
ذكره الخطيب ابو بكر • قال القرطبي قلت لقد احسن مالك
في مقالته واصاب في تاويله فمن نقص واحدا او طعن عليه
في روايته فقد رد على الله رب العالمين وابطل شرايع
المسلمين • قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء
على الكفار الاية • وقال لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة • وقال الله تعالى لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد
ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف
رحيم الى غير ذلك من الاي التي تضمنت الثنا عليهم والشهادة
لهم بالصدق والفلاح • قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا

الله عليه وقال للفقرا المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم
واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الى قوله فاولئك هم
المفلحون وهذا كله مع علمه تبارك وتعالى بحالهم وما ل
امرهم • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس
قرني ثم الذين يلونهم • وقال لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم
انفق مثل احد ذهبا لم يدرك مد احدهم ولا نصيفه اخرجهما
البخاري وفي حديث اخر فلو ان احدكم انفق ما في الارض
لم يدرك مد احدهم ولا نصيفه قال ابو عبيد معناه لم يدرك
مد احدهم اذا تصدق ولا نصف المد فالنصيف هو النصف
ههنا ولذلك يقال للعشر عشير وللخمس خميس وللتسع تسيع
وللثمن ثمين وللسبع سبيع وللسدس سديس وللربع ربيع
ولم يقل للثلث ثليث • وفي البزار عن جابر مرفوعا
صحيحا اختار اصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين
واختار لي من اصحابي اربعة يعني ابا بكر وعمر وعثمن وعليا
فجعلهم اصحابي وقال في اصحابي كلهم خير • وروي عويم بن
ساعدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز
وجل اختارني واختار لي اصحابي فجعل لي منهم وزرا واختانا
واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منهم يوم القيمة صرفا ولا عدلا والاحاديث
في هذا المعنى كثيرة • وقد لعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سب اصحابه • وعن عمر بن حبيب قال حضرت

مجلس هرون الرشيد فجرت مسئلة تنازع فيها الحضور
وعلت اصواتهم فاحتج بعضهم بحديث يرويه ابو هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفع بعضهم الحديث وزادت
المدافعة والخصام حتى قال قايلون لا نقبل هذا الحديث
على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ابا هريرة متهم فيما
يرويه وصرحوا بتكذيبه ورايت الرشيد قد نحا نحوهم
ونصر قولهم فقلت انا الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه
عن النبي صلى الله عليه وسلم وغيره فنظر الي الرشيد وهو
مغضب وقمت من المجلس فانصرفت الى منزلي فلم البث حتى
قيل صاحب البريد بالباب فدخل فقال لي اجب امير المومنين
اجابة مقتول وتحنط وتكفن • فقلت اللهم انك تعلم اني
دفعت عن صاحب نبيك واجللت نبيك ان يطعن على
اصحابه فسلمني منه فدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي
من ذهب حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه
النطع فلما بصرني قال لي يا عمر بن حبيب ما تلقاني من الرد
والمنع بما تلقيتني به • فقلت يا امير المومنين ان الذي
قلته وجادلت عنه فيه ازرا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا كان اصحابه كذابين فالشريعة باطلة والفرايض
والاحكام والصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود
كلها مردودة وغير مقبولة • فرجع الى نفسه ثم قال

اجيبتني يا عمر بن حبيب احياك الله وامرلي بجبرة الاف
قلت فالصحابة كلهم عدول اوليا الله تعالي واصفياوه
وخيرته من خلقه بعد انبيايه ورسله هذا مذهب اهل
السنة والجماعة من ايمة هذه الامة • وقد ذهب شرذمة
ولا مبالاة بهم الي ان حال الصحابة كحال غيرهم فيلزم البحث
عن عدالتهم • ومنهم من فرق بين حالهم في بداة الامر فقال
انهم كانوا علي العدالة اذ ذاك ثم تغيرت بهم الاحوال •
فظهرت فيهم الحروب وسفك الدما فلا بد من البحث وهذا
مردود فان خيار الصحابة وفضلاهم كعلي وطلحة والزبير
وغيرهم رضي الله عنهم ممن اثني الله عليهم وزكاهم ورضي
عنهم وارضاهم ووعدهم اجرا عظيما وخاصة العشرة المقطوع
لهم بالجنة باخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن
والامور الجارية عليهم بعد نبيهم باخباره لهم بذلك وذلك
غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم اذ كانت تلك الامور
مبنية علي الاجتهاد وكل مجتهد مثاب • وقيل مصيب
والمسئلة مشهورة • ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا
واخرج السلفي في الطيوريات من طريق يزيد بن هرون
قال سمعت المسعودي يقول بلغني ان من قرا اول ليلة
من رمضان انا فتحنا في التطوع حفظ ذلك العام • اللهم
اهدنا بالقران العظيم • وانفعنا بالايات والذكر الحكيم

ونقبل منا انك انت الغفور الرحيم • ولا تضرب وجوهنا
يا اله العالمين • ويا خير الناصرين • برحمتك يا ارحم الراحمين
وصلي الله علي خير خلقه محمد واله واصحابه اجمعين
تمت الرسالة المباركة بحمد الله تعالي
وعونه وحسن توفيقه وصلي
الله علي سيدنا محمد
وعلي اله وصحبه
وسلم

بلغ مقابلة بتتبع مريد
لامعان من نسخة
المصنف رحمه
الله تعالى
امين